



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة عباس لغرور - خنشلة.



كلية الآداب واللغات

# موقف عبد الرحمن الحاج صالح من النظريات اللسانية الغربية الحديثة

بحث مقدم لقسم اللغات والأدب العربي لاستكمال مواد شهادة ماستر 2

تخصص: لسانيات عامة

إشراف الأستاذة:

زواقري عادل.

إعداد الطالبة:

شرقية ليلة.

أعضاء اللجنة:

الاسم	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
بحري نوارة	أستاذ محاضر قسم (أ)	جامعة عباس لغرور-خنشلة-	رئيسا
زواقري عادل	أستاذ محاضر قسم(ب)	جامعة عباس لغرور-خنشلة-	مشرفا
قيس عبد المؤمن	أستاذ محاضر قسم(أ)	جامعة عباس لغرور-خنشلة-	ممتحنا

السنة الجامعية: 2017- 2018

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## إهداء

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى  
وبعد...

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من يبذل في سبيل العلم  
إلى صاحبة الصدر الحنون والود المسكوب أمي ثم أمي ثم أمي  
إلى صاحب القلب الطيب أبي  
إلى إخوتي وأخواتي، إلى الأصدقاء والزملاء  
إلى أحلى نسمة تهب على حياتي **Midou**  
إلى كل من استحضره القلب وغيبه القلم  
أقول لكم...

والقلب بذكراكم ينتعش  
وليس لكم في الورقة حاجة  
فود القلب لكم دائم  
وحبر القلم لا شك زائل

ليلة شرقية



## كلمة شكر

الحمد والشكر لله في المقام الأول  
يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور  
عادل زواقري المؤطر لهذا العمل والذي لم يبخل علينا  
بالإرشاد والتوجيه  
كما نشكر كل من قدم يد العون لإنجاز هذا البحث.

ليلة شرقية

# خطة البحث

## مقدمة

مدخل: نشأة اللسانيات

الفصل الأول: اللسانيات الغربية الحديثة.

1- نشأتها.

2- رائدها.

3- أهم مدارسها ومبادئها.

4- اللسانيات والثقافة العربية.

الفصل الثاني: اللسانيات الغربية الحديثة والفكر العربي الحديث من خلال كتابات عبد الرحمن الحاج صالح.

1- موقف الحاج صالح من بعض النظريات اللسانية الغربية الحديثة.

1-1 البنوية.

2-1 الوظيفية.

3-1 التوليدية.

خاتمة

مقدمة

## مقدمة

شهدت الدراسات اللسانية الغربية منعطفًا هامًا في تاريخها مطلع القرن العشرين، والذي مسَّ مناهجها خاصة، لتخرج بدراسة اللغة من التعاقب الزمني إلى الأنية والعلمية، فكان لها أن امتدت جذورها لتطال مسار الدراسات اللغوية في العالم أجمع، فتظهر ملامحها في المؤلفات اللسانية العربية منتصف القرن العشرين، حيث لعب عامل الاحتكاك والمتمثل في البعثات الطلابية إلى البلدان الغربية.

أخذت أقلام اللسانيين المتخصصين تُألف في هذه المذاهب الفكرية الجديدة الوافدة إلينا من البيئة الغربية. لتبرز مجموعة من الأعلام اللسانيين بمختلف التوجهات والآراء إزاء هذا الوافد الجديد.

ويحاول هذا البحث الوقوف على بعض القضايا التي حضت باهتمام أحد أبرز اللسانيين العرب، والتي أُعيد النظر فيها وهو اللساني الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح" محاولًا الكشف عن أهم المحطات التي أولاهها اهتمامه من خلال كتاباته.

فجاء البحث موسومًا: **موقف عبد الرحمن الحاج صالح من النظريات اللسانية الغربية الحديثة.**

ولعل من أهم أسباب اختياره، أنه من الضروري إعادة النظر فيما تحمله المناهج الغربية الحديثة الوافدة إلى العالم العربي، فكونها حاملة للطابع الغربي الحدائي، لا يعني خلُّوها من الهفوات والنقائص.

والمفترض على البحث أن يجيب على التساؤل المطروح: كيف تلقى عبد الرحمن الحاج صالح النظريات اللسانية الغربية الحديثة الوافدة إلى الفكر العربي؟ وما موقفه من هذه النظريات؟

- 1- ما أهم المدارس التي أولاهها اهتمامه، وخاض فيها؟
- 2- وما أهم القضايا التي وقف عندها الحاج صالح؟
- 3- وما أبرز النقائص التي سجلها على هذه النظريات؟
- 4- كيف استثمر التراث اللغوي العربي ليثبت قصور ما جاءت به النظريات الغربية؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، كان لابد من التطرق إلى مختلف الجوانب ذات الصلة بالموضوع، فجاءت خطة البحث مقسمة: مدخل، وفصلين ثم خاتمة.

**مدخل والموسوم: نشأة اللسانيات؛** تطرق إلى نشأة الدرس اللغوي منذ القديم، عند بعض الحضارات، كالهنود، الإغريق، والعرب.

**أما الفصل الأول والمعنون: اللسانيات الغربية الحديثة،** فقد تطرق إلى نشأة اللسانيات الغربية الحديثة مع العالم السويسري دي سوسير، إضافة إلى سرد لبعض المدارس اللسانية الغربية الحديثة.

**والفصل الثاني الموسوم: اللسانيات الغربية الحديثة والفكر العربي من خلال كتابات عبد الرحمن الحاج صالح،** وقد عرض لأهم القضايا التي وقف عندها الحاج صالح، وأعاد قراءتها؛ كالبنوية التي أخذت القسط الأوفر من الاهتمام والدراسة، الوظيفية، والتوليدية التحويلية.

**وخاتمة:** جاءت كحوصلة للبحث متضمنة أهم النتائج التي خرج بها البحث.

وتماشيا مع ما يقتضيه البحث، اعتمد في دراسته على المنهج الوصفي المقارن، بغية تحقيق النتائج المرجوة.

ولإنجاز هذا البحث كان لابد من العودة إلى بعض الكتب الأساسية للحاج صالح منها: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية بجزأيه الأول والثاني، وبحوث ودراسات في علوم اللسان، وغيرها من المراجع الأخرى التي تخدم الموضوع.

ولا يسلم أي بحث من الاصطدام بصعوبات وعوائق وكذلك هذا البحث، ورغم ذلك فقد تخطى هذه الصعوبات، والفضل في ذلك يرجع إلى الأستاذ المشرف، الدكتور "عادل زواقري" الذي أتوجه إليه بجزيل الشكر والتقدير، والاعتراف بجهده المبذول في إنجاز هذا البحث. ولا أنسى كل من كانت له يد في إنجاز هذا البحث من قريب أو بعيد.

والحمد لله

# مدخل: نشأة اللسانيات

- 1- البحث اللساني عند الهنود.
- 2- البحث اللساني عند الإغريق.
- 3- البحث اللساني عند العرب.
- 4- مصطلح اللسانيات.

### مدخل: نشأة اللسانيات.

لقد حضرت القضايا اللسانية باهتمام الشعوب المتمدينة، منذ أقدم العصور التي سجلها التاريخ، خاصة أن مجال الاهتمام بهذا النوع من الدراسة كان محكوماً بمتطلبات الحياة الاجتماعية، إضافة إلى اهتمام الجماعات التي كان للعقيدة فيها دور اجتماعي بعيد المدى فقد تطلع الناس إلى معرفة لغة الطقوس الدينية ولاسيما في الشكل الذي سجلت به اللغة في نصوص دينهم.

وقد كرّس العالم المسيحي جانبا كبيرا من أنشطته لدراسة اللغة اللاتينية، ودرس اليهود العبرية من الكتاب المقدس، وأنشأ العرب مراكز لغوية تهدف إلى تمكين معتنق العقيدة الإسلامية من القراءة الصحيحة للقرآن الكريم.<sup>1</sup>

يمكن القول، أن المنطلق في الأساس، و الغاية في البحث اللساني عند الأمم السابقة منذ نشأته، امتاز بالطابع العقائدي والاجتماعي، يسعى لخدمة الدين وفهمه وحفظ المقدسات من الكتب.

ومن بين الشعوب التي أولت اهتماما كبيرا للبحث اللغوي نذك؛ الهنود، الإغريق والعرب.

### 1-البحث اللساني عند الهنود:

بدأ النحاة الهنود يفكرون في المسائل اللغوية منذ زمن بعيد، فقد اتسمت بعض أعمالهم بالدقة والموضوعية، وتوصلوا إلى نتائج تشبه إلى حد كبير ما توصلت إليه اللسانيات الحديثة خاصة في مجال الصوتيات.<sup>2</sup>

### 1-1- اللغة الهندية:

1- ميلكا إيفيتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص 05.

- يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005م، ص 11.

من الملاحظ عند دراسة الأدب الهندي القديم، أنه كان يدور حول مواضيع ذات صبغة دينية أو ميتافيزيقية بحتة، وهذا يعود إلى اعتقادهم بأنهم أصحاب أول ديانة على الأرض فهم يرون أن اللغة الهندية من صنع الإله "إندرا".<sup>1</sup>

ولقد ظهرت الدراسات اللغوية عند الهنود حفاظاً على ديانتهم ومقدساتهم، خاصة الكتب منها، إضافة إلى الحفاظ على اللغة السنسكريتية من التحريف، فأخذوا يدرسون اللغة بشكل عام، والأصوات بشكل خاص؛ لتمكين أصحاب هذه العقيدة من النطق والفهم الصحيحين للكتب المقدسة في الطقوس والشعائر.<sup>2</sup>

ويرجع الفضل في اكتشاف اللغة السنسكريتية بصورة جلية إلى "ويليام جونز" (ت 1794م)، عام 1786م، حين أعلن عن أهمية هذه اللغة أمام الجمعية الآسيوية في البنغال.<sup>3</sup>

ونظراً لقيمة هذه اللغة وأهميتها في حياتهم اليومية عامة وطقوسهم الدينية خاصة درسوها من كل الجوانب وحاولوا وضع قواعد للحفاظ عليها، فظهر ما يعرف "بالنحو الباتيني".  
**1-2- النحو الباتيني:**

يرى الباحثون أن أشهر بحث في الدراسات اللغوية الهندية القديمة، كان من إنجاز العالم الهندي "باتيني"، الذي قام بتحليل كل مظاهر اللغة السنسكريتية وتقنياتها، ويُعدُّ النحو الذي وضعه عملاً عظيماً لا يشبه الأنحاء التقليدية في شيء، بل يشبه إلى حد كبير قواعد الحساب وقوانين الجبر، حيث يحتوي هذا العمل على 4000 قاعدة نحوية.<sup>4</sup>

- يُنظر: المرجع نفسه، ص 11.<sup>1</sup>

- يُنظر: المرجع نفسه، ص 12.<sup>2</sup>

- يُنظر: أحمد محمد قُدّور، مبادئ اللسانيات، ط1، 1996م، دمشق، دار الفكر، 2008م، ص 17.<sup>3</sup>

- يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 13.<sup>4</sup>

ويتميز نحو "بانيني" بثلاث خصائص في دراسة كل ظاهرة لغوية، وقد تبنت اللسانيات الحديثة هذه المعايير العلمية، والتي تتمثل في:<sup>1</sup>

أ- الشمولية: أي الدراسة الشاملة لكل جوانب اللغة.

ب- الانسجام: وهو عدم التناقض الكلي والمستمر في دراسة الظاهرة اللغوية.

ج- الاقتصاد: ويقصد به الاقتصاد في استخدام الكلمات والإيجاز في التعبير

تنتم المعايير السابقة بصفة الموضوعية والعلمية في تحليل اللغة من مختلف جوانبها مع وجود تكامل بينها.

يمكن القول؛ أن هدف النحو البانيني، كان هدفا تعليميا، تطبيقيا، كما احتوى على مسلمات عامة وحقائق علمية خاصة في حقل الصوتيات، وامتد أثر هذه الدراسة إلى اللسانيات الحديثة في القرن العشرين.

### 2- البحث اللساني عند الإغريق:

اهتم الإغريق على غرار مختلف الأمم الأخرى إذ بدأ الفكر الإغريقي يتبلور خلال القرن السادس قبل الميلاد في جميع الميادين، وامتاز هذا الفكر بالعبقرية والوعي، الذين لم يسبق للعالم أن شهد مثلهما من قبل، فقد كانوا روادا في الفكر الفلسفي، الاجتماعي، الأخلاقي واللغوي.<sup>2</sup>

### 2-1- النحو عند الإغريق:

يُعد تلقين المتعلم فنون الكلام والكتابة، أهم هدف في تعليم النحو عند النحاة الإغريق الذين كانوا مولعين بالنظر العقلي والمنطقي في اللغة ودراستها فاهتموا بالنحو

- يُنظر: المرجع نفسه، ص14.<sup>1</sup>

<sup>2</sup> - يُنظر: المرجع السابق، ص 14.

يقول "جون ليونز": "إنهم عدوا النحو جزءا لا يتجزأ من الفلسفة، وبالتالي من البحث العام في طبيعة العالم الذي يحيط بهم والنواميس الاجتماعية التي تتحكم فيه".<sup>1</sup>

لقد أثرت النظرة العقلية والمنطقية للنحاة الإغريق في دراسة اللغة إلى مزجهم بين النحو والفلسفة لتظهر بذلك قضايا جديدة في دراسة اللغة مثيرة للجدل، كمسألة أصل اللغة ونشأتها.

### 2-2-نشأة اللغة بين الطبيعة و الاصطلاح:

تعد مسألة نشأة اللغة من أهم المسائل المثيرة للجدل بين علماء الإغريق، فأدى بهم هذا الجدل إلى الانقسام فريقين:

فريق يسلم بطبيعية اللغة؛ وأن اللغة من صنع الطبيعة، وأنها منحدره من أصل تحكمه قوانين خالدة غير قابلة للتغيير، ومثل هذا الفريق "أفلاطون".

وفريق ثان يتزعمه "أرسطو"، ويؤكد هذا الفريق أن اللغة من قبيل الاصطلاح، أي أنها وليدة العرف والتقليد.<sup>2</sup>

ولازالت مسألة نشأة اللغة تثير جدلا لدى الباحثين إلى يومنا هذا، ولكل حجته ودليله فانقسمت الآراء والمذاهب بين قائل بتوفيقية اللغة وقائل بتوقيفيتها.

### 3-البحث اللساني عند العرب:

لقد بدأت الدراسات اللغوية العربية تتطور بعد ظهور الإسلام في القرن الأول للهجرة الموافق للقرن السابع ميلادي، فبدأت تظهر معها بعض المسائل اللغوية التي ناقشها علماء اليونان والرومان وغيرهم، فمنهم من قال أنها اصطلاحية وضعها العربي الأول لتيسير عملية التواصل وتلبية المطالب الاجتماعية، ومنهم من يرى أنها توقيف وإلهام من عند الله إلى عبده آدم عليه السلام وحجتهم في ذلك قوله تعالى <<وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا>> (البقرة 31).<sup>3</sup>

### 3-1-نشأة النحو العربي:

- يُنظر: المرجع السابق، ص15.<sup>1</sup>

- يُنظر: المرجع نفسه، ص15.<sup>2</sup>

- يُنظر: المرجع السابق، ص36.<sup>3</sup>

لما سمع الخليفة عثمان بن عفان-رضي الله عنه-أن هناك من يفاضلون بين القراءات سارع إلى جمع كل سور القرآن في دار حفصة بنت عمر، ليجمعها في مصحف واحد، وخذ به شمل المسلمين.

أصبح هذا المصحف فيما بعد يُعرف بالمصحف العثماني، إلا أن هذا العمل كان يعُوزُه الشكل والتنقيط، مما أدى إلى انتشار اللحن بين أقوام من غير العرب، قد دخلوا الإسلام.<sup>1</sup> حثَّ هذا الواقع على العرب السعي إلى وضع قواعد وقوانين تحافظ على القرآن الكريم وتسهل عملية قراءته وتلاوته حتى للمسلمين من الأعاجم، فكان أبو الأسود الدؤلي أول من قام بهذه المهمة، لتكون تلك هي البداية الفعلية لنشأة النحو العربي.

إنَّ اقتران نشأة النحو العربي بانتشار اللحن والتحرّيف في قراءة القرآن الكريم، جعله يمتاز بالطابع الديني، حيث كان هدفه الأساس هو؛ خدمة الدين الإسلامي عامة، والقرآن الكريم خاصة، وكون اللغة العربية لغة القرآن الكريم حضت باهتمام كبير فكان لا بد من تعليمها، وضبطها حفاظاً على النص القرآني من اللحن والتحرّيف.

### 3-2-مصطلح النحو عند العرب:

- النحو لغة: "هو القصد والطريق، يكون ظرفاً ويكون اسماً، نحاءً يَنحوهُ، وينحاءُ نحواً وانتحاءً، ونحوثٌ نحواً، كقولك قصدتُ قصداً، والجمع أنحاءٌ ونُحُوٌّ".<sup>2</sup>

- أما اصطلاحاً: فهو "انتحاءٌ سَمَت كلام العرب، في تصرفه من إعراب وغيره، كالتثنية والجمع والتحقير، والتكسير والإضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة، فينطقَ بها وإن لم يكن منهم، وإن شَدَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها".<sup>3</sup>

- يُنظر: المرجع نفسه، ص 36.<sup>1</sup>

1- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م، المجلد الخامس عشر، مادة (نحا)، ص360.

2- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003م، المجلد الأول، ص88.

- ويُعرّفها أيضاً الشريف الجرجاني في كتابه (معجم التعريفات) بقوله: "هو علم بقوانين يُعرف بها أحوال التراكيب العربية، من الإعراب والبناء وغيرهما، وقيل النحو؛ علمٌ يُعرف به أحوال الكلم من الإعلال، وقيل علم بأصول يُعرف بها صحّة الكلام وفساده"<sup>1</sup>.

من التعريفات السابقة نستنتج أنّ النحو هو الطريق والجهة، وهو علم إعراب كلام العرب، فالمتكلم ينحو طريقةً العربي في كلامه.

وقد كان الهدف من وضع هذا العلم، هو ضبط اللغة العربية شكلاً وصوتاً، ورسم طريق للعربي والأعجمي لتعلم وأداء هذه اللغة دون تكلف وتيسير قراءة القرآن الكريم بلسان عربي مبين.

#### 4- مصطلح اللسانيات:

تتعرض اللغة بصفاتها ظاهرة بشرية، للتغير والتجدد على مستوى مصطلحاتها ومعانيها ويرجع هذا التغير والتطور إلى التقدم العلمي والذي يصاحبه ظهور مخترعات ومكتشفات جديدة تستدعي أن توضع لها مصطلحات، ومسميات تكون بمثابة مفاتيح للتعرف على هذه العلوم.

"و بذلك يكون المصطلح مفتاحاً لتعليمية العلوم، واللغات، والمعارف كلها، وإطاراً موسوماً في تحصيلها من غير انحراف مقصود، ولا إجحاف مردود...والمصطلحات هي علامات المعرفة، وسمات تُعرف بها العلوم"<sup>2</sup>.

#### 4-1- في مصطلح اللسانيات:

يعود مصطلح (Linguistics) علم اللغة، والمصطلحات الأوروبية المقابلة (Linguistique) بالفرنسية، و(Linguistics) بالإيطالية إلى الكلمة اللاتينية

1- علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، ص 202.

-عبد السلام المسديّ: اللسانيات وأسسها المعرفية، د ط، المطبعة العربية، تونس، د ت، ص 15.

(Lingua)، بمعنى اللسان أو اللغة، وقد شاع استعمالها في اللغات الأوروبية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر.<sup>1</sup>

يُعد مصطلح "علم اللغة" أول مصطلح استعمل مقابلاً لمصطلح **Linguistics** الإنجليزي، أو **Linguistique** الفرنسي، في أغلب المصنفات اللسانية المبكرة، إذ جعله **علي عبد الواحد وافي** عنواناً لكتابه.<sup>2</sup>

إلا أنه وقع اضطراب في تحديد تاريخ صدور الطبعة الأولى لهذا الكتاب.

وقد رافق ظهور مصطلح علم اللغة كمقابل لمصطلح **Linguistique**، مصطلحات أخرى، "كعلم اللسان"، وقد ظهر هذا المصطلح للمرة الأولى في ترجمة **محمد مندور** لبُحث اللساني الفرنسي **أنطوان ماييه** المعنون؛ **Linguistique** حيث ترجمه بـ "علم اللسان".<sup>3</sup> تُرجم لفظ **Linguistique** بمفهومه الحديث، في النصف الثاني من القرن العشرين بعلم اللسان، وموضوعه في نظر العلماء المحدثين هو اللسان البشري بوجه عام، والألسنة المعيّنة بوجه خاص، أي كل ما يدخل في اللسان من الظواهر المتعلقة به، كالأصوات المفردات، والمركبات.

"وعلم اللسان ليس هو علم الأصوات فقط، بل كل الدراسات التي تتناول الظواهر اللغوية من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى، في حدّ ذاتها وبنيتها، أو في عمليات التبليغ في حالة زمنية واحدة، أو من خلال التحول الزمني وغير ذلك من وجهات النظر".<sup>4</sup>

إنّ؛ فعلم اللسان أو **Linguistique**، علم يهتم بدراسة الجوانب المختلفة للسان البشري ومختلف ظواهره، والبحث فيها سواء من حيث اللفظ أو المعنى، كدراسة الأصوات المفردات والمركبات؛ أي البحث في النظام الداخلي للغة.

2- يُنظر: محمود عكاشة، علم اللغة مدخل في اللغة العربية، ط1، القاهرة، مصر، دار النشر للجامعات، 2006م، ص 09.

يُنظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ط1، مصر، إيتراك للنشر، 2004م، ص 20.

يُنظر: المرجع نفسه، ص 20.

- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2007م، ص 25.

ونجد أنّ هناك من يستخدم مصطلح "اللسانيات" مرادفاً لمصطلح "النحو"، فيقال النحو التاريخي تارة، واللسانيات التاريخية تارة أخرى.

"فالنحو واللسانيات ليسا ضدّين بالمعنى المبدئي للتضاد، كيف والنحو نفسه منذ القديم مفهوم مزدوج، إذ هو يعني في نفس الوقت جملة النواميس الخفية المحرّكة للظاهرة اللغوية كما يعني عملية تفسير الإنسان لنظام اللغة...وقولك نحو العربية، أو نحو الفرنسية فأنت تعني نظامها، أو لقولك النحو العربي أو النحو الفرنسي، فالمقصود عندئذ عملية استخراج النظام الداخلي في تلك اللغة".<sup>1</sup>

أي أنّ اللسانيات والنحو يتقاطعان في دراستهما للموضوع ذاته؛ وهو اللغة والكشف عن نظامها الداخلي والبحث في نواميسها، وقواعدها التي تحكمها.

---

-عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ط1، المطبعة العربية، تونس، دت، ص15.<sup>1</sup>

# الفصل الأول:

## اللسانيات الغربية الحديثة

- 1- نشأتها.
- 2- رائدها.
- 3- أهم مدارسها ومبادئها.
- 4- اللسانيات والثقافة العربية.

## تمهيد

شهدت الدراسات اللغوية في مطلع القرن العشرين منعطفاً مهماً في مسارها، حيث اتّسمت بـُحوثها بالعلمية، والموضوعية، إذ أنها سعت إلى إضفاء الأسس العلمية على الفكر الإنساني، ووصف اللسان البشري وتحليله تحليلاً علمياً، والكشف عن خصائصه للوصول إلى القوانين التي تحكم بنيته الجوهرية والبحث عن سماته الصوتية، التركيبية والدلالية باعتباره ظاهرة إنسانية عامة غرضها التبليغ.

### 1- نشأة اللسانيات الغربية الحديثة:

لقد شهد القرن الثامن عشر تغيرات فكرية وعقلية هائلة، ففي مجال اللسانيات قام الكثير من علماء اللسانيات بإنجاز ما يعتبر أسساً حديثة في هذا المجال، أمثال "جريم" Max .

### Mullerماكس مولر " و "Whitney"، "ويتنيGrimm

وغيرهم من العلماء الذين كان لهم الفضل في تشكيل فروع تخصصهم في علم اللغة وتوسيع إطارها، بينما امتاز القرن التاسع عشر بازدياد نمو اللسانيات الوصفية، إذا ما قورنت باللسانيات التاريخية.<sup>1</sup>

إذن؛ لقد شكّل القرنان الثامن والتاسع عشر منعطفاً كبيراً في تاريخ علوم اللسان، حيث خرجت من التاريخية إلى الوصفية والعلمية في دراسة اللغة.

<sup>1</sup>- يُنظر: شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، دط، دار المعرفة الجامعية، 2003م، ص 39-44.

يكاد يُجمع المهتمون باللسانيات الغربية الحديثة على اعتبار سنة 1916م تاريخ ميلاد اللسانيات الحديثة، وهذا تزامناً مع ظهور كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"، للعالم السويسري فيردينا ندي سوسير المتوفى سنة 1913م.<sup>1</sup>

إذ يرجع الفضل في صدور هذا المؤلف إلى العالمين "شارل بالي" و"ألبير سيشهاي" الذين جمعا المحاضرات والدروس التي ألقاها أستاذهما فيردينان دي سوسير، في الفترة مابين 1907\_1911م بجنيف، وقد اعتمد الباحثان في جمع مادة الكتاب على الأقوال والتعليق التي كان يُسجلها الطلبة أثناء حضورهم تلك الدروس.<sup>2</sup>

إنّ ربط نشأة اللسانيات الغربية الحديثة، بظهور كتاب "محاضرات في الألسنية العامة" للعالم السويسري فيردينان دي سوسير، يجعلنا نُسلم بكون هذا العالم أباً فعلياً لللسانيات الحديثة، ويرجع الفضل في ذلك إلى ما جاء به من مناهج جديدة لدراسة اللغة، إضافة إلى أنّ رواج محاضراته، وجمعها في مؤلف بعد وفاته، ليعتمد لاحقاً كمرجع في الدراسات اللسانية الحديثة، يُعدّ أبرز دليل للاعتراف بأحقيته في هذا العلم.

## 2- رائد اللسانيات الغربية الحديثة:

تطوّرت الدراسات اللغوية في الغرب منذ القرن التاسع عشر، وشهدت توسعاً ونضجاً لتبلغ أوجها مع مطلع القرن العشرين، مع ظهور كتاب "محاضرات في علم اللغة العام "

1- يُنظر: عبد العزيز حليبي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دراسات سال، 1991م، ص 14.

2- يُنظر: المرجع نفسه، ص 14.

ل دي سوسير، الذي نشره طلابه عام 1916م بعد وفاته بثلاث سنوات، حيث أجمع الدارسون المحدثون على أنّ دي سوسير هو الأب الحقيقي لللسانيات الحديثة.<sup>1</sup>

ولقد تجلّى هذا التطور الذي شهدته الدراسات اللغوية مع مطلع القرن العشرين، في تحوّل اللسانيات من التاريخية؛ التي تهدف إلى معرفة تاريخ اللغات، والعلاقات الموجودة بينها وإعادة بناء اللغات الأولى المنقرضة، إلى ما يُعرف اليوم باللسانيات الآنية؛ التي تُعنى بوصف اللغات، وتحليلها كما هي موجودة في نقطة زمنية محددة، ويُعدُّ فيردينان دي سوسير؛ أول من نظّر لهذا المنهج الجديد في دراسة اللغة.

## 2-1- حياته:

ولد فيردينان دي سوسير في جنيف بسويسرا، في 17 نوفمبر 1857، ينحدر من عائلة فرنسية بروتستانتية، هاجرت من "لوزان" خلال الحرب الدينية الفرنسية في أواخر القرن السادس عشر ميلادي، إلى سويسرا، تلقى التعليم الأولي في جنيف، ثمّ انتقل إلى برلين و ليبزيغ لمزاولة دراسته، ليملك هناك إلى غاية 1878م يدرس اللسانيات التاريخية والمقارنة.<sup>2</sup>

وقد أقام في باريس خلال الفترة ما بين 1880م-1891م، ليتولى منصب مدير الدراسات بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا، وفي الوقت نفسه كان يُحاضر هناك للطلبة في اللسانيات التاريخية والمقارنة، وفي عام 1891م عاد إلى مسقط رأسه واستقر يُدرس بجامعة

<sup>1</sup>- يُنظر: هيام كريدية، أضواء على الألسنية، ط1، بيروت، لبنان، الجامعة اللبنانية، 2008م، ص 07.

<sup>2</sup>- يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 119.

جنيف، إلى أن وافته المنية عام 1913م عن عمر يُناهز الستة والخمسين سنة نتيجة سرطان أصابه في حلقه.<sup>1</sup>

إن؛ فالعالم السويسري قد قضى جُل حياته في الدراسة التاريخية والمقارنة وتدريسها، إلا أنه اشتهر بعد وفاته بالدراسة الآنية، ليُعد بعدها مؤسس الآنية، وأول منظرٍ للمنهج البنوي ويحمل اليوم لقب "أب اللسانيات الحديثة" بين علماء ودارسي اللسانيات الحديثة.

## 2-2- مؤلفاته:

تنوعت مؤلفات العالم السويسري دي سوسير، بين كتب، وأطروحات، ومقالات نذكر منها:<sup>2</sup>

- "دراسة حول النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندية الأوروبية"؛ وهو أول مؤلف نشره في الواحد والعشرين من عمره عندما كان طالباً في ألمانيا.

- "حالة الجر المطلق في السنسكريتية"؛ وهي عبارة عن أطروحة قدمها لنيل شهادة الدكتوراه.

- إضافة إلى بعض المقالات التي كتبها حول اللغة، وقد جُمعت كلها بعد وفاته.

- "محاضرات في اللسانيات العامة"؛ ويُمثل أشهر مؤلفاته، وقد صدر بعد وفاته بثلاث

سنوات أي عام 1916م، ويرجع الفضل في نشر هذا الكتاب إلى تلميذه "شارل بالي"

1- يُنظر: الطيب دبّه، مبادئ اللسانيات البنوية، دراسة تحليلية إبستيمولوجية، جمعية الأدب للأستاذة الباحثين، ص 54.

2- يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 119.

و"ألبار سيشهاي"، اللذان قاما بجمع محاضراته التي كان يُلقِيها على طلبته بجامعة جنيف بين 1906م-1911م.

### 3- أهم المدارس اللسانية الحديثة:

لقد لاقت أفكار العالم السويسري دي سوسير رواجاً كبيراً وقسطاً وافراً من النجاح خلال النصف الأول من القرن العشرين بين العديد من الدارسين، فكانت آراؤه ونظرياته منطلقاً وأساساً لعدد من المدارس أهمها:

### 3-1- المدرسة البنوية ( structuralisme ):

تعد الأبحاث التي قدّمها دي سوسير ما بين 1906م-1911م، من أهم الدراسات اللسانية البنوية، حيث كان أول من دعا إلى دراسة اللغة في ذاتها دراسة وصفية تبحث في نظامها وقوانينها، وليُعد الدراسة التاريخية، وقد اعتبر اللغة نظاماً وليست مجرد آلة مادية صوتية.<sup>1</sup> فاللغة تمتاز بالحركية والاستمرارية، فهي بالدرجة الأولى وسيلة للتواصل وتبادل المعارف والأفكار بين الجماعات اللغوية المنتمية لرقعة جغرافية واحدة.

إن الهدف الأساس للنظرية البنوية، هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها، أي دراستها دراسة وصفية آنية، في فترة زمنية محددة.<sup>2</sup>

1- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، بيروت، لبنان، أبحاث للنشر والتوزيع، 2004م، ص 09.

2- يُنظر: المرجع نفسه، ص 09.

ومن أهم المبادئ التي استخلصها دي سوسير من دراساته للغة، والتي ساهمت في نشأة الاتجاه البنوي مايلي:<sup>1</sup>

- التمييز بين الدراسة الوصفية للغة في بعدها الداخلي، وبين الدراسة التاريخية.
- حيث إن اللساني هو الذي يهتم بالبحث في النظام الداخلي للغة للكشف عن قوانينها وأصولها، أما المعرفة بالعوامل السياسية، الحضارية، والجغرافية فتُعد ثانوية.
- إنَّ اللغة نظام من الإشارات، وهذه الإشارات تشير إلى المقصود ببنية التبليغ والتواصل فاللغة عبارة عن أصوات يُعبر بها كل قوم عن أغراضهم قصد الإبانة والإفهام.
- التفريق بين اللغة والكلام، وهي من بين الثنائيات التي جاء بها؛ وهو يرى أنَّ اللغة تسبق الكلام مادامت نظاماً يتسبب في إيجاد الخطابات الممكن وصفها.
- ومن هنا يتعين علينا أن ندرس اللغة في لحظة معينة خلال موقف معين، أي دراسة اللغة كبنية وكنظام تحكمه قوانين وقواعد داخلية بمعزل عن السياقات الخارجية التي قد تُؤثر في الحدث اللغوي.

### 3-2- المدرسة الشكلانية الروسية (حلقة موسكو):

وتُسمَّى حلقة موسكو اللغوية، أو الشكليون الروس، نشأت ونمت في روسيا خلال العقود الأولى من القرن العشرين على يد مجموعة من طلبة الدراسات العليا بجامعة موسكو عام

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع السابق، ص 18.

1915م، وقد اشتهر أصحابها بعدة أسماء منها: جماعة التوجه الصرفي أو الشكليون، أو

جماعة أبوياز (opojaz).<sup>1</sup>

ومن أبرز اتجاهاتها، أنّ الشعر هو الاستخدام الأدبي الأمثل للغة لأنّه لغة منتظمة في أنسجتها الصوتية، فاهتموا بالبراعة الفنية للكاتب.

وقد انصبَّ اهتمام أصحاب هذا المذهب في البداية على دراسة الشعر ثم الرواية التي ميّزوا فيها بين عنصرين أساسيين: القصة والحبكة، ويُعد الأدب عندهم استخداماً خاصاً للغة، كما أنّهم دعوا إلى إقامة علاقة مباشرة مع العمل الفني أيّاً كان نوعه ومحاولة سبر أغواره.<sup>2</sup>

يعود تركيزهم على الشعر والرواية؛ كونهما يمثلان أشكالاً فنية للأدب، حيث يظهر من خلالها الإبداع والخيال، إضافة إلى حرية المتصور لهذا الإنتاج الأدبي، وقراءته من مختلف الزوايا.

وقد قامت هذه المدرسة على مبدأ؛ أنّ الأثر الأدبي يتميز ببروز شكله، فهي تُعيد الاعتبار إلى الجانب الشكلي الذي غُيب في النقد الروسي التقليدي الذي كان يُعول في تحليل الخطاب على العوامل الخارجية، ويغفل الجانب الشعري الذي يميز الأثر الأدبي عن سواه.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- يُنظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، عمان، الأردن، دار صفاء، 2002م، ص242.

<sup>2</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص243.

<sup>3</sup>- يُنظر: السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ط1، عنابة، الجزائر، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008م، ص69.

إذن فقد تجاوزوا فكرة أن الشكل يعكس المضمون تماماً، وجاءوا بفكرة أن هذا الشكل قد يخرج عن إطار المؤلف والاستعمال السائد إلى ما هو غير معتاد، ومن هنا تتعدد القراءة للنص الواحد، ويخرج النص عن المؤلف وهو ما يُعرف بالإنزياح\*.

### 3-3- مدرسة براغ (حلقة براغ اللغوية):

تأسست هذه المدرسة على يد التشيكي فيلام ماتيزيوس، وبعض معاونيه سنة 1926م وأصبح هذا النادي يُعرف فيما بعد بحلقة براغ، أو المدرسة الفونيمية، وتُعد من المدارس اللغوية المنبثقة عن البنوية، والمتأثرة بثنائيات دي سوسير.<sup>1</sup>

وقد شملت هذه المدرسة مجال الصوتيات الوظيفية الآنية، والصوتيات الوظيفية التاريخية والتحليل الوظيفي والعروضي، ودراسة الوظيفة الجمالية للغة ودورها في الأدب والمجتمع والفنون.<sup>2</sup>

اتَّسم هذا الاتجاه بالطابع السوسيري، حيث تبنى المنهج الوصفي بدلاً من المعياري والتاريخي، في دراسة اللغات، فاهتم أصحاب هذا الاتجاه بالصوتيات والوظائف اللغوية التي تُؤديها اللغة.

<sup>1</sup> - يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص136.

<sup>2</sup> - يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، دط، الجزائر، موفم للنشر، 2007م، ص168.

\* هو الخروج عن المؤلف، والخروج عن الاستعمال الطبيعي والمعتاد للغة.

"وعلى خلاف المدارس الأخرى فهذه المدرسة تضم عدداً كبيراً من الباحثين المتخصصين في اللغات السلافية من تشيكو سلوفاكيا وخارجها، ومن أقطابها: تروبتسكوي، جاكسون بوهلر، كارسفسكي وغيرهم <sup>1</sup>."

### 3-1-3 منهجها:

يتميز منهج هذه المدرسة بدراسة اللغة في كل مستوياتها، النحوية، الصرفية، الصوتية والدلالية دراسة وظيفية، وذهبت هذه المدرسة إلى أنّ اللغة نظام من الوظائف، وكل وظيفة نظام من العلامات.<sup>2</sup>

اهتمّ أصحاب هذا المنهج بالوظيفة التي تُؤديها عناصر اللغة، وأنّ اللغة ليست مجرد نظام من العلامات كما قال دي سوسير وإنما اللغة نظام من الوظائف، فكل علامة تُؤدي وظيفتها في اللغة والاستعمال.

### الصوتيات الوظيفية:

أطلق مؤسسوا مدرسة براغ اسم الصوتيات الوظيفية على منهجهم الخاص بالدراسة الصوتية، ويتولّى هذا الفرع من اللسانيات الحديثة دراسة المعنى الوظيفي للوحدات الصوتية ضمن نظام اللغة الشامل، واستخراج كل الفونيمات وضبط خصائصها، وتحديد توزيع أوفوناتها.<sup>3</sup>

وقد ميّز الدارسون بين مصطلحي: "الصوتيات" و"الصوتيات الوظيفية"؛

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 168.

<sup>2</sup> - يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 136.

<sup>3</sup> - يُنظر: المرجع السابق، ص 137.

**فالصوتيات:** فرع من اللسانيات قوامه دراسة الأصوات الكلامية من حيث نطقها، تمثيلها وتوزيعها، وتنقسم ثلاثة أقسام رئيسة: الصوتيات النطقية؛ وتعنى بوصف الجهاز الصوتي ومخارج الأصوات وإدراكها، فهي تهتم " بالمتكلم". والصوتيات السمعية؛ تهتم بعملية تلقي الأصوات وإدراكها أي "السامع"، أما الصوتيات الفيزيائية؛ فتهتم بالجانب الفيزيائي المتمثل في انتشار الموجات الصوتية انطلاقاً من فم المتكلم وصولاً إلى أذن السامع.

**أما الصوتيات الوظيفية:** فهي تهتم بدراسة معاني الوحدات الصوتية ضمن نظام اللغة العام ودراسة خصائصها ومميزاتها وتموضعها في هذا النظام، فاهتمت بالفونيمات والألوفونات وتوزيعها في اللغة.<sup>1</sup>

إذن؛ فالصوتيات تسعى لدراسة أشمل وأوسع للغة، حيث تهتم بدراسة الجوانب العضوية والفيزيائية أثناء انتقال اللغة من المتكلم إلى السامع، متتبعاً الصوت في كل مراحله بدءاً من الجهاز الصوتي عند المتكلم، مروراً بالهواء وانتشار الذبذبات والموجات، وصولاً إلى أذن السامع.

### 3-4- المدرسة الوظيفية:

ارتبطت الوظيفية بالعالم "أندري مارتيني"، الذي ولد سنة 1908م في مدينة السافوا الفرنسية، تخصص في اللغة الألمانية وشغل منصب مدير الدراسات اللسانية في معهد

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص137.

الدروس العليا في باريس ، وهو يعمل في جامعة السوربون منذ 1960م ، تُوفّي سنة 1999م.<sup>1</sup>

"يعتبر الوظيفيون أنّ دراسة اللغة هي البحث عن الوظائف التي تُؤديها أثناء تواصل أفراده".<sup>2</sup>

### 3-4-1- مبادئ الوظيفية:

تتكون اللغة من مجموعة من الوحدات الصوتية، التي تُؤدي وظيفة داخل التركيب فكل وحدة من تلك الوحدات دور في تغيير المعنى وهذا يدل على أنّ لكل وحدة وظيفة في التركيب، ومنه فالمدرسة الوظيفية تصب جُل اهتمامها على المعنى والوظيفة. **التقطيع المزدوج:** يعد التقطيع المزدوج من أهم المبادئ التي بُنيت عليها أفكار مارتيني وهو الميزة التي تُباين الأنظمة اللسانية البشرية عن الأنظمة الاتصالية الأخرى، كلغة الحيوان والطبيعة والإشارات.<sup>3</sup>

وينص هذا المبدأ على أنّ تحليل الوحدات اللغوية يتم على مستويين:

- **التقطيع الأوّلي:** وهو التقطيع الذي يتكون من العناصر الدالة أي المونيمات، مثل:

أحضر الولد الكتاب تُحلل إلى /أحضر/ال/ولد/ال/كتاب/.<sup>4</sup>

ويكون التحليل وفق التقطيع الأوّلي بتجريد الكلمة من الزوائد سواء اللواحق أو السوابق.

<sup>1</sup>- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص18.

<sup>2</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص18.

<sup>3</sup>- يُنظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، ص105.

<sup>4</sup>- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص19.

- التقطيع الثانوي: وهو التقطيع الذي ينطلق من حيث انتهى التقطيع الأولي، أي من النتائج التي توصل إليها، ليقوم بتحليل تلك الوحدات المستقلة ذات المحتوى الصوتي والدلالي إلى الفونيمات، أي إلى أصغر الوحدات الصوتية المجردة من المعنى.<sup>1</sup>

يُعد هذا المبدأ، ذا قيمة لسانية حيث أنه يمنح اللغة القدرة على التعبير عن اللامتناهي من الأفكار و المعاني المجردة بهذه الفونيمات، وهذا العدد الكبير من الأصوات اللغوية.

### 3-5- المدرسة النسقية /كوبنهاغن (glossématique):

" يُعد العالم اللساني الدنماركي لويس هلمسليف مخترع مفهوم غلوسيماتيك باشتقاقه من الإغريقية "غلوسة"، وتعني اللغة، وهي مستخلصة من نظرية دي سوسير التي تجعل من اللغة غاية لذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام".<sup>2</sup>

يسعى أصحاب هذه المدرسة إلى دراسة اللغة المنظور إليها على أنها حقل مغلق على نفسه وبنية لذاتها، إضافة إلى كونها تسعى إلى إبراز كل ما هو مشترك بين جميع اللغات البشرية.

إن؛ فإن هذه المدرسة تسعى إلى دراسة اللغة كبنية وكنسق، بالبحث في عناصر هذه البنية من الداخل وإقصاء التعاقبات الزمنية والظروف المحيطة بهذه البنية.

فالغلوسيماتيك تنطلق من النص الملفوظ المعبر أو من جميع العبارات الملفوظة المجعولة للتعبير، وهذا النص قابل للتقسيم إلى أنواع تكون بدورها قابلة للتقسيم إلى أصناف، والصنف

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع السابق، ص19.

3- ميشال زكريا، علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983م، ص247.

ينبغي أن لا يحمل تناقضاً وأن يكون شاملاً، فالأمر يتعلق بوصف المواد ذاتها ووصف

العلاقات التي تجمع بينها والتي تسعى إلى وصف علاقاتها وتحديدتها.<sup>1</sup>

مما سبق يمكن القول، أن النظرية الغلوسيماتيكية هي امتداد لأفكار دي سوسير البنوية

حيث اطلع هلمسليف على أفكار سوسير أثناء زيارته لفرنسا، واحتكاكه باللسانيين "مايه"

و"فندراليس"، وقد انطلق هلمسليف من حقيقتين جوهريتين في الفكر السوسيري وهما:<sup>2</sup>

- أن اللغة ليست مادة بل هي شكل، أي نظام وبنية.

- تباين اللغات بعضها عن بعض من حيث المستوى التعبيري والمحتوى.

فكل لغة تتكون من هذين المستويين، يعني أنها مجموعة أدلة ذات مظهرين؛ مظهر

صوتي، ومظهر دلالي.

### 3-5-1- مبادئ الغلوسيماتيك:

مبدأ التجريب: يرى هلمسليف أن التجريب يعتمد الملاحظة والاختبار، ويجمع بين ثلاثة

معايير؛ اللاتناقض، الشمولية، والتبسيط، وشروط الدراسة العلمية الموضوعية لا تتوفر إلا

باحترام مبدأ التجريب.<sup>3</sup>

مبدأ الإحكام والملاءمة: تمتاز هذه النظرية بخاصيتين أساسيتين هما:

- الإحكام: وقد ورد هذا المصطلح في محاضرات دي سوسير بمعنى "الاعتباطية" وفي

مقدمة هلمسليف بمعنى الإحكام، حيث تكون النتائج طبيعية لأي قضية تابعة لمقدماتها

<sup>1</sup>- يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص159.

<sup>2</sup>- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص21.

<sup>3</sup>- يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص163.

المنطقية.

- الملاءمة: ويُقصد بها أن تُلبي مقدماتها شروط التطبيق على عدد كبير من المعطيات

التجريبية.<sup>1</sup>

ومنه، فإنَّ المنهج الغلوسيماتي يهدف إلى دراسة علمية على منوال العلوم الدقيقة، حيث لا يدرس إلاَّ الظواهر اليقينية، مستبعداً كل تفكير تجريدي في الأسباب المنطقية، متأثراً في ذلك بالفلسفة الوضعية المنطقية التي طورها أغوست كونت.

### 3-6- المدرسة التوزيعية (distributionnelle):

نشأت هذه المدرسة بالولايات المتحدة مع بلومفيلد حوالي سنة 1930م، فقد كان أكثر

اللسانيين الأمريكيين حرصاً على جعل اللسانيات علماً حقيقياً، ويُعتبر كتابه **language** مرجعاً مهماً في الدرس اللساني الأمريكي.<sup>2</sup>

وتُعد النظرية التوزيعية نظرية لسانية، فهي أثبتت أنَّ اللغة تتألف من عناصر تتدرج وفق نظام لغوي تنتظم فيه هذه العناصر مشكلة الجملة، حيث تُحمل الجملة إلى مكوناتها المباشرة بواسطة ما يُعرف بقواعد التوزيع، والتعويض، والاستبدال.<sup>3</sup>

فالنظرية التوزيعية تقوم على توزيع اللغة التي تُعتبر مادتها وهذه اللغة تتضمن وحدات متجاوزة قابلة للاستبدال أو التعويض.

<sup>1</sup>- ينظر: المرجع نفسه، ص164.

<sup>2</sup>- يُنظر: عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ص256.

<sup>3</sup>- ينظر: نسيمه نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010م-2011م، ص68.

"وينطلق من فكرة أنّ أجزاء الكلام لا تنتظم في اللغة بالصدفة، ولا اعتباطياً، وإنما يكون ذلك بالاتساق مع الأجزاء الأخرى التي تندرج فيها في أوضاع بعينها دون أوضاع أخرى".<sup>1</sup>

فالتوزيع إذاً، يرتبط بالموقع الذي توجد فيه الكلمات أو الوحدات اللغوية، أي كل ما يحيط بها يميناً وشمالاً، ويسمح باستبدال هذه الكلمات بأخرى من أجل تحديد ترتيبها أو توزيعها لتصنيفها في القسم الذي تنتمي إليه.

"وعليه لم تعد الجملة- في هذا الاتجاه- سلسلة خطية بسيطة، بل إنها تبدو في شكل هرمي، قاعدته الجملة (ج) التي تتفرع إلى مجموعة من الطبقات (تحتوي الكلمات) تُدعى المكونات المباشرة، حيث كل مكون مباشر متداخل فيما قبله، أي هو جزء من الطبقة التي تفرع منها وهكذا يتم تقطيع الجملة إلى وحداتها المباشرة...حتى يتحصل في الأخير على أصغر مورفيم لا يدل على معنى".<sup>2</sup>

وجاء بعده هاريس، ليُطوّر أفكار هذه المدرسة، فتجاوز في التحليل اللغوي حدود الجملة ليشمل العلاقات التي ترد متعاقبة عند متكلم واحد أو أكثر في سياق واحد، ويعتمد في ذلك على نوعين من التحويلات المفردة التي تحوّل جملة واحدة إلى أخرى بسيطة، والتحويلات المزدوجة التي تُحوّل الجملتين إلى جملة واحدة.<sup>3</sup>

لُيُثبت بذلك أن اللغة مرنة قابلة للإنتاج، والتغيير والاستبدال إمّا جمعا بين جملتين، أو تبسيطاً من جملة لجملة.

<sup>1</sup> - المرجع نفسه، ص 68.

<sup>2</sup> - شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 36.

<sup>3</sup> - يُنظر: نسيمه نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، ص 69.

"أمّا بايك، فقد سلك فيها مسلكا سلوكيا، فافترض أنّ المنطوق اللغوي مستمر، ويقوم المتكلمون بالرد على ذلك لكشف التجزئة اللغوية، فاعتبر تلك الأجزاء وحدات سلوك<sup>1</sup>".  
أي أنّ اللغة سلوك وردة فعل للمتكلم في موقف كلامي ما، يُستقز خلاله المتكلم، أي أن المنطوق اللغوي لا يختلف عن باقي سلوكيات الإنسان التي يمارسها.

### 3-7- المدرسة التوليدية التحويلية:

هي نظرية لسانية وضعها تشومسكي، ومعه علماء اللسانيات في المعهد التكنولوجي بالولايات المتحدة في الفترة بين 1960-1965م، حيث انتقد النموذج التوزيعي والنموذج البنوي، في مقوماتهما الوضعية المباشرة، باعتبار أنّ هذا التصور لا يصف إلاّ الجمل المنجزة، ولا يمكنه تفسير عدد كبير من المعطيات مثل الالتباس<sup>2</sup>.  
أي أنّ النظرية التوليدية التحويلية، وُضعت لاستيعاب وتفسير ظاهرة الإبداع لدى المتكلم وقدرته على إنشاء وإنتاج مجموعة من الجمل التي لم يسبق أن وُجدت، فهو يبحث عن المحصول اللغوي المتراكم في ذهن المتكلم، وقدرته على إنجاز الكلام واستعمال هذا المخزون خلال موقف من المواقف وأثناء أي خطاب.

### 3-7-1- مبادئ المدرسة التوليدية التحويلية:

اعتمدت المدرسة على مجموعة من المبادئ والمرتكزات من بينها:

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص69.

<sup>2</sup>- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 41، 42.

- الاهتمام بالجملة: تُعد الجملة في هذا الاتجاه من البحث؛ العنصر الأساس لأنها الوحدة اللغوية التي تُستخدم في الإبلاغ، وفيه إصرار على أن القواعد يجب أن تكون قادرة على توليد الجمل الصحيحة فقط.<sup>1</sup>

وإذا كانت الجملة محط اهتمام هذه المدرسة، فالمعرفة الضمنية لقواعد تلك اللغة ضرورية لإنتاج وتوليد جمل صحيحة، غرضها التواصل والإبلاغ.

وعلى هذا يتضح أن تشومسكي ينظر إلى اللغة من الداخل مستقطبا مقدره ابن اللغة على استعمال لغته وفهمها، فركزوا على الظواهر اللغوية في الكلام المنطوق والمكتوب.

- السليقة أو الملكة اللغوية: وهي نظام اللغة الكامن الذي يكتسبه أبناء اللغة منذ الطفولة.<sup>2</sup> حيث يولد الإنسان مزودا بملكة كامنة في ذهنه، تتطور مع مرور الزمن عن طريق احتكاكه ببني بيئته، وممارسته تلك اللغة، وهذا ما يُكوّن لديه مخزونا لغويا يُخرجه إلى حيز التنفيذ والممارسة عند الحاجة.

- الإنجاز أو القدرة على الكلام: وهي أمثلة الكلام التي تصدر عن السليقة على نحو لا ينحصر في أية لغة محدودة، ولكن في مواقف الأداء اللغوي.

حيث تركز هذه المدرسة على أن القواعد النحوية في أية لغة محدودة، لكن الجمل غير محدودة.<sup>3</sup>

<sup>1</sup>- يُنظر: السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ص118.

<sup>2</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص119.

<sup>3</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص119.

ومنه فإنَّ الإنجاز أو القدرة؛ هي الممارسة الفعلية والآنية لذلك المخزون المتراكم في الذهن، إذ يتم استثماره في التواصل والتخاطب في مقام معين، وهو عنصر مكمل لعنصر الملكة، فإذا كانت الملكة هي المعرفة بقواعد اللغة، فالإنجاز هو تنفيذ وممارسة لتلك القواعد.

- **لانهاية اللغة:** أي أنَّ اللغة خلَّاقة بطبيعتها، وكل متكلم يستطيع أن ينتج جملا لم ينتجها أحد قبله، وهذا هو المقصود باستعمال اللغة استعمالا ابتكاريا، تجديديا.<sup>1</sup>

أي أنَّ هذه النظرية تنبني على ما يمكن تسميته بلا نهائية اللغة، فكل لغة تتكون من مجموعة من الأصوات ومع ذلك فهي تنتج أو تولد جملا لا نهاية لها.

- **التمييز بين الجمل الصحيحة والخاطئة نحويا:** إنَّ الهدف الأساس للنحو التوليدي التحويلي، هو التمييز بين الجمل الصحيحة والمنحرفة عن قواعد النظام اللغوي.<sup>2</sup>

لا يمكن الاكتفاء بالقول أنَّ الهدف الأساس للنحو التوليدي التحويلي، هو مجرد التمييز بين الجمل الصحيحة والخاطئة نحويا فقط، وإنما تصحيح المخالفة لقواعد النحو انطلاقا من مجموع القواعد والنظم اللغوية.

- **ظاهرة الغموض:** ترتبط هذه الظاهرة بالمجانسة في البناء، فالجملة الواحدة، قد يكون لبنائها الخارجي معنيين متمايزان نحو: (ضرب الأب الولد)، فقد تعني أنَّ الأب ضرب الولد أو العكس.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص47.

<sup>2</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص49.

ربما، ما يُقابل هذا في لغتنا هو "الجناس"، فإذا قلنا مثلاً؛ (ذَهَبْتُ نَحْوَ الْمَغْرَبِ) تحتل معنيين: الأول أني (ذهبت إلى بلد المغرب). والثاني أني (ذهبت صوب مغرب الشمس).

أما في المثال السابق (ضرب الأب الولد)، فنحن في العربية نضبط الجُمَل والكلمات شكلاً، فإما أن نقول؛ ضربَ الأبُ الولدَ. وإما أن نقول؛ ضربَ الأبَ الولدَ.

- **البنية العميقة والبنية السطحية:** البنية العميقة، تتمثل في مجموع القواعد التي أوجدت هذا التابع، وهي أساسية لفهم الكلام وإعطائه التفسير الدلالي وهي ضمنية، وتحتوي كل العلاقات النحوية والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة.<sup>2</sup> أما البنية السطحية؛ ويقصد بها السطح الذي يعكس ما يجري في عمق التركيب من عمليات.

" وتمثل البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلم، وهي البنية النهائية المستخدمة في سياق ما، في سلسلة أفقية من الكلمات".<sup>3</sup>

فإذا كانت البنية العميقة أول عنصر ناتج عن عملية الاشتقاق والتحويل، فإنَّ البنية السطحية، هي آخر مرحلة من الاشتقاق.

- **التحويل:** إنَّ التحويل عملية نحوية تجري على سلسلة تملك بنية نحوية وتنتمي إلى سلسلة جديدة، ذات بنية نحوية مشتقة، وهو عبارة عن علاقة تربط بين تمثيلين، تمثِّل أولي مجرد هو البنية العميقة، وتمثِّل مشتق نهائي هو البنية السطحية.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص52.

<sup>2</sup>- يُنظر: نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، دط، القاهرة، مكتبة الآداب، دت، ص157.

<sup>3</sup>- المرجع نفسه، ص157.

فالتحويل يُمثل مجموع التغيرات التي يدخلها المتكلم، فينقل البنيات العميقة إلى بنيات ظاهرة، فهو عملية شكلية تهتم بتراكيب الكلام والجمل.

#### 4- اللسانيات الغربية الحديثة والثقافة العربية:

اتسمت اللسانيات الغربية الحديثة بالعلمية والموضوعية، خاصة بعد ظهور الدراسات الوصفية والبنوية بزعامة العالم السويسري دي سوسير، مواكبة النهضة العلمية التي طالت العلوم الأخرى، فراحت اللسانيات الغربية تستفيد من تجارب العلوم الدقيقة والرياضيات.

"وبعد قيام المناهج والبدء في التأسيس الفعلي للمدارس اللغوية لم تكن اللغة العربية على غرار لغات العالم الأخرى في منأى عن هذا التغير الحضاري اللغوي، بل إنها تأثرت تأثراً واضحاً بهذا المنعطف الحديث، فظهرت نماذج تتبني النظريات والأفكار المؤيدة لهذا التوجه اللغوي الجديد في عالم تسوده روح التطور والتقنية الحديثة".<sup>2</sup>

ويُقصد بالمناهج الحديثة ما جاء به العالم سوسير، كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، والذي شكّل منعطفاً في مسار الدرس اللساني الغربي الحديث.

#### 4-1- اللسانيات العربية:

إنّ الحديث عمّا يُعرف باللسانيات العربية الحديثة، أو الدرس العربي الحديث، يقتصر على مجموع المؤلفات والدراسات اللسانية التي ألفها لسانيون عرب منذ منتصف الأربعينيات

<sup>1</sup>- يُنظر: شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص56.

<sup>2</sup>- عبد الرحيم البار، مجلة إشكالات، المركز الجامعي، الجزائر، العدد السادس، 2014م، ص188.

من القرن العشرين، حيث تبوّأ فيها المناهج اللسانية الغربية الحديثة.<sup>1</sup> اللسانيات العربية، أو الكتابات اللسانية، هي ما يمكن أن نطلقه على مجموع الكتابات والمؤلفات التي عُنيَت بنقل ما جاء به الفكر اللساني الغربي الحديث، إلى الفكر اللساني العربي وكجَموع مناهجه.

#### 4-2- لمحة إلى اللسانيات العربية الحديثة:

إنَّ تحديد لحظة نشأة اللسانيات العربية الحديثة، يرتبط برصد ظروفها وملايساتها من حيث ارتباطها بالضرورة بالمناخ العام الذي حكم الفكر العربي الحديث، ابتداءً بما عُرف بعصر النهضة العربية، أوائل القرن التاسع عشر الذي كان وليد ظروف التدخل الاستعماري في البلاد العربية حيث شكّل هذا القرن منعطفاً حاسماً في تكوين الفكر العربي الحديث.<sup>2</sup> لقد كان لاحتكاك العربي بالثقافة الغربية أثر في تكوين الفكر العربي الحديث، حيث كان لابد من السعي لمواكبة التطور الحاصل في الغرب وضرورة التغيير والتجديد، ومحاولة نقل ما توصل إليه الفكر الغربي الحديث إلى الثقافة العربية.

وإذا جاز لنا أن نُؤسس على فكرة أنّ اللسانيات العربية، إنما ارتبطت بنقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث، فإن هذه البداية تتحدد بعودة الموفدين المصريين من الجامعات

<sup>1</sup>- يُنظر: فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ص12.

<sup>2</sup>- يُنظر: المرجع السابق، ص14.

الأوروبية حيث درسوا المناهج اللسانية الحديثة، وبدعوا بنشر بحوثهم اللسانية منذ ذلك التاريخ.<sup>1</sup>

فبداية انتقال الفكر اللساني الغربي إلى الثقافة العربية، كان نتيجة الاحتكاك بالفكر اللغوي الغربي في الجامعات الغربية عن طريق البعثات الطلابية المصرية، وتمثل هذا الانتقال في نقل نتائج البحث اللساني الغربي الحديث، وما توصل إليه، والتأليف في هذا المجال وتبني مناهجه.

---

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص18.

# الفصل الثاني:

اللسانيات الغربية الحديثة والفكر العربي من خلال  
كتابات عبد الرحمن الحاج صالح

1- موقف عبد الرحمن الحاج صالح من بعض النظريات اللسانية

الغربية الحديثة.

1-1 البنوية.

2-1 الوظيفية.

1-3 التوليدية التحويلية.

## 1- موقف الحاج صالح من بعض النظريات اللسانية الغربية الحديثة:

يعد التأثير والتأثر بين الشعوب حضاريا أو ثقافيا، ظاهرة طبيعية تنشأ بين مختلف الحضارات، عن طريق الاتصال فيما بينها منذ أقدم العصور بحكم الاحتكاك ومختلف العوامل؛ كالحروب، التجارة، أو البعثات وغيرها.

وحتى الثقافة العربية على غرار الثقافات الأخرى، لم تسلم من هذا التأثير، ونخص بالذكر الميدان اللغوي، وتأثير اللسانيات الغربية الحديثة في التفكير اللغوي العربي، حيث اكتشف الباحثون العرب المحدثون التطور والتجدد الحاصل في ميدان البحث اللغوي في البيئة الغربية، وذلك عن طريق الوفود الطلابية في البلدان الغربية، أو الاتصال المباشر باللغويين الغربيين في البلدان العربية، والتعلم على أيديهم إذ حاولوا نقل وترجمة بعض هذه النظريات الحديثة وتطبيقها على اللغة العربية، ومن بين هذه النظريات نذكر: البنوية، الوظيفية والتوليدية التحويلية.

إلا أنّ هذه النظريات قد أُعيد النظر والبحث فيها، لاسيما عندما طُبقت على اللغة العربية دون مراعاة لخصوصية نظام هذه اللغة، فانتقدت في بعض جوانبها.

ويُعد عبد الرحمن الحاج صالح<sup>1</sup> من أبرز اللسانيين العرب الذين خاضوا في هذه القضية، وأعادوا قراءة النظريات الغربية الحديثة الوافدة إلى العالم العربي، وحاولوا الحفاظ على خصوصية اللغة العربية. وتمثلت هذه النظريات في:

---

1- ولد بمدينة وهران سنة 1927م، درس في مصر، وفي بورجو وباريس، تحصل على التبريز من باريس، ودكتوراه الدولة في اللسانيات من جامعة باريس (السوريون)، كان أستاذا بجامعة الرباط سنة 1991م إلى سنة 1962م، وجامعة الجزائر بعد ذلك وصار مديرا لمعهد العلوم اللسانية بالجزائر ثم مديرا لمركز البحوث العلمية لترقية اللغة وعيّنهُ الرئيس عبد العزيز بوتفليقة رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية سنة 2000م، وكان عضوا في المجمع الآتية: دمشق، بغداد، عمان والقاهرة، وجاء بمشروع الذخيرة العربية الدولي.

## 1-1- البنية:

لقد رافق ظهور اللسانيات في العالم مطلع القرن العشرين ميلاد منهج جديد، اتصف بالعلمية والموضوعية في دراسة اللغة بوصفها "نظاماً"، ورغم جدّة ما جاءت به هذه النزعة إلا أنها قابلة لإعادة النظر والقراءة.

والذي نقصده بالبنوية، هو ذلك المذهب اللغوي العلمي الذي ظهر في أوروبا وأمريكا مع بداية القرن العشرين، ليتطور ويبلغ أشده في نهاية الأربعينيات، وهو يدعو إلى دراسة اللغة كنظام وكنبنة لها وجود سابق لوجود أجزائها ومكوناتها.<sup>1</sup>

فأهم ما جاءت به البنوية، هو مصطلح البنية، حيث نادت هذه النزعة بدراسة اللغة كنسق وكنظام مغلق، أي الدراسة البنوية الوصفية للغة، باعتبار اللغة نسقا ونظاما من العلامات "وقد جاءت هذه البنوية بأفكار علمية نظرية، ومنهجية جديدة مهمة ومفيدة بالنسبة لما كان متعارفا عليه في الغرب قبل ظهورها، أما بالنسبة لنا معشر العرب، فقد طُرح السؤال عن إمكانية الاستفادة مما يوجد في هذا المذهب الجديد، ولا سيّما ما ثبتت صحّته فيه عند جميع العلماء، وهو شيء حسن، إذ لا بد أن يراجع العلماء نظرياتهم ومناهجهم كلما اقتضى الحال".<sup>2</sup>

يُقر الحاج صالح؛ بأهمية وجدّة ما جاءت به النظرية البنوية، حيث أنها شكّلت منعطفا في تاريخ الدراسة اللغوية في الغرب، في حين نبّه إلى العرب بقوله "أما بالنسبة لنا معشر العرب"، كحالة خاصة، ويؤكد على ضرورة مراعاة ما تمتاز به اللغة العربية من خصائص لي طرح السؤال حول مدى إمكانية الاستفادة مما جاء به هذا المذهب الجديد، ومدى ملاءمته لخصوصية اللغة العربية.

1- يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، دط، الجزائر، موفم للنشر، 2007م. ص23.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص23.

وكون العلم في تجدد وتطور مستمر، لا يعني أن نقبل كل ما هو جديد ووافق العقلية الغربية، بل لا بد من إعادة النظر فيه، ولهذا فعلى العلماء أن يراجعوا نظرياتهم ومناهجهم العلمية كلما اقتضى الحال.<sup>1</sup>

فقد لا تكون اللغة مرنة لدرجة استيعابها جل ما تقدمه الأفكار الغربية.

### 1-1-1 في بنية اللغة:

تكتفي البنوية بالكشف عن عناصر اللغة، وتحديد هويتها بصفات المميّزة لها عن جميع العناصر الأخرى، وهي تعتمد أساساً في تحديد هذه العناصر على الجنس والفصل وما ينجرُّ عن ذلك من اشتغال شيء على شيء.<sup>2</sup>

واعتمادهم التحديد بالجنس والفصل فقط يعود إلى تأثرهم بالتحديد والتصنيف الأرسطي حيث يتم تحليل وتحديد أنواع وأجناس متداخلة، وكان معتمداً خاصة في علمي الحيوان والنبات.

حيث يقول الحاج صالح: " فإنهم لا يحددون هوية العناصر إلا بانتمائها إلى فئة معينة وبالتالي يكون التحديد عندهم بالجنس والفصل فقط كما عند أرسطو تماماً".<sup>3</sup>

ويشير كذلك الحاج صالح إلى عدم اكتفاء النحاة العرب بهذا التحديد، فهم يحملون الشيء على الشيء لوجود جامع بينهما، فيستنبطون البنية التي يشترك فيها عدد من الوحدات، مثل البنية التركيبية: (عامل + معمول - + معمول ثاني)؛ فهي ناتجة عن حمل الأجناس المختلفة بعضها على بعض وكلها تجيء على هذه البنية العامة (وهي أعم وأكثرها تجريداً من فعل + فاعل أو مبتدأ + خبر).<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - يُنظر: المرجع السابق، ص 23.

<sup>2</sup> - يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، دط، الجزائر، موفم للنشر، 2007م، ص 207.

<sup>3</sup> - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 34.

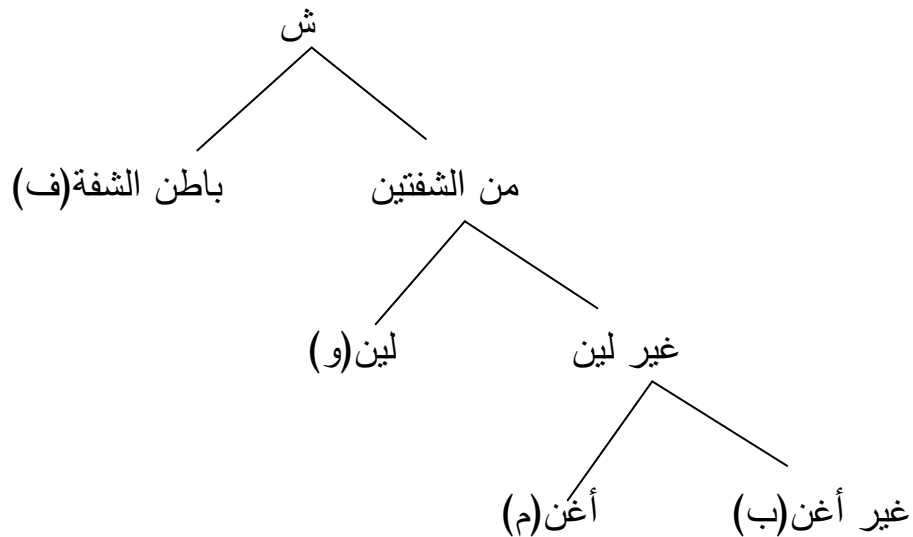
<sup>4</sup> - يُنظر: عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص 207.

ومما لا شك فيه، أنّ النظرية البنوية نظرية لسانية حديثة تحمل طابعا فلسفيا أرسطو طاليسيا، وخاصة في تحليل العناصر اللغوية، وتصنيفها بالجنس أو الفصل، واندراج الشيء في الشيء، وهو ما تجاوزه النحاة العرب إلى حمل الشيء على الشيء مع وجود جامع بينهما، إلى غاية استخراج البنية أو الشكل الذي تشترك فيه هذه العناصر اللغوية.

ويُضيف الحاج صالح فيما يخص التحديد بالجنس والفصل، أنّ هذا النوع من التصنيف أي التصنيف الاندراجي، هو تصنيف ساذج لا يعرف إلا اندراج الشيء في الشيء، وقد وصفها نوام تشومسكي عند نقده للبنوية بأنها نزعة تصنيفية أكثر منها تفسيرية.<sup>1</sup>

" فالشيء حسب هذه النظرية إما داخل في جنس، وإما مشترك بين جنسين أو أكثر وإما خارج عنه، فهذا دليل واضح على أنّ التحليل البنوي إذا صيغ صياغة رياضية، فإنه لا يتعدى التحليل التصنيفي".<sup>2</sup>

ويُمثل لذلك في مجال الفونولوجيا: جنس الحروف الشفوية العربية: (ب/ م / و / ف)، بالتمثيل الشجري الآتي:



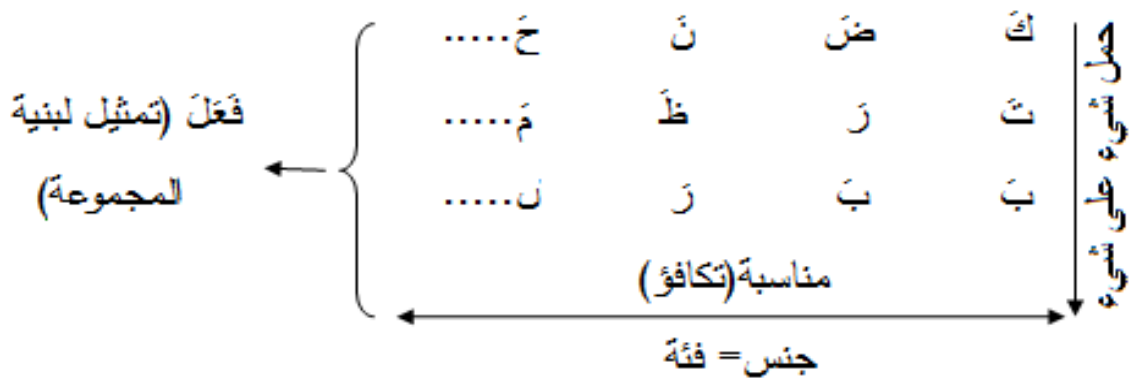
في حين نجد أنّ النحو العربي لا يكتفي بهذا النوع من التحديد والتصنيف الذي يعتمد على الجنس والفصل، واكتشاف الصفات المميزة فقط، ليتجاوزه إلى إجراء الشيء على الشيء، أو

<sup>1</sup> - يُنظر: المرجع السابق، ص 210، 211.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص 211.

حمل العنصر على العنصر الآخر لوجود مناسبة بينهما، فهو لا يكتفي بالجنس الذي ليس إلا مجرد فئة تشترك عناصرها في صفة واحدة أو مجموع صفات، بل يتجاوزون ذلك بإجراء عنصر على آخر، أي يجعل علاقة مباشرة بين العناصر التي توجد بين مجموعتين على الأقل لاستنباط البنية التي تجمعها جميعاً<sup>1</sup>.

وقد قدّم الحاج صالح مثالا على ذلك؛ وهو إثبات لصيغة الكلمة:

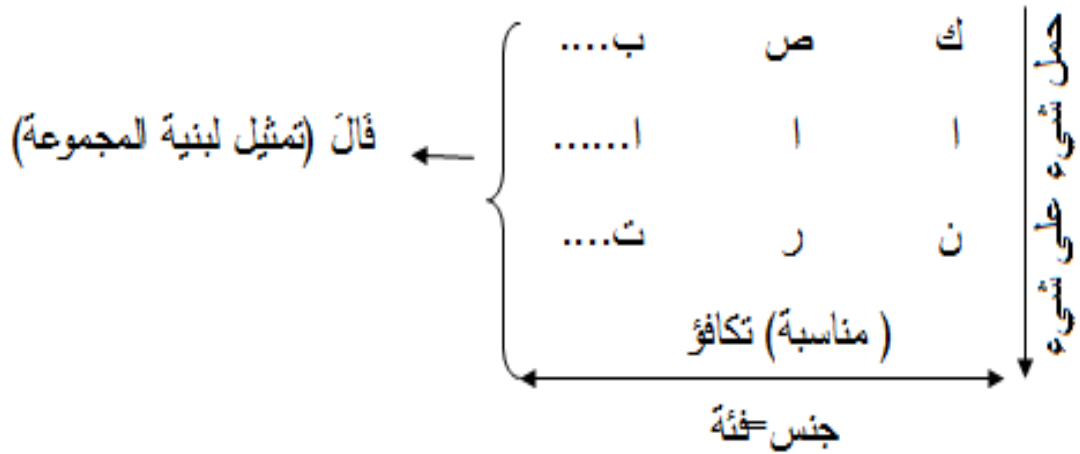


تمثل هذه المجموعة وحدات أو عناصر لغوية، تجمعها علاقة أو مناسبة مشتركة، لا تتمثل في الجنس فقط، بل في البنية التي تحكمها ولا يمكن أن تستخرج بإدخال وإدراج بعضها في بعض، وإنما بحمل كل جزء منها على نظيره، مع مراعاة واعتبار كل جزء في موضعه.

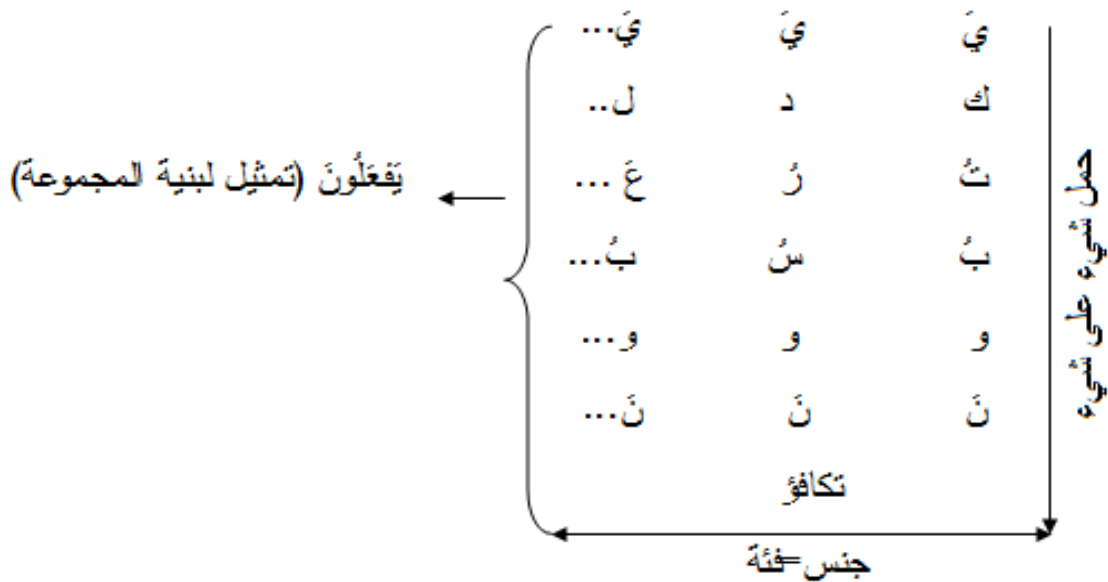
فمن خلال المثال السابق، فقد تمّ فيه حمل مجموعة من العناصر اللغوية وترتيبها وفق ما يحكمها من علاقة تكافؤ وبنية مشتركة؛ والمتمثلة في الصيغة (فَعَلٌ).

وللتوضيح أكثر نورد المثال الآتي: (كان/ صار/ بات).

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع نفسه، ص212.



تتشارك هذه العناصر في كونها تحمل البنية نفسها (قَالَ)، وتتنتمي أيضا إلى مجموعة واحدة وهي (النواسخ)، فنلاحظ تكافؤ عناصر هذه المجموعة ووجود مناسبة فيما بينها.



تلتقي هذه العناصر تحت مجموعة ( الأفعال الخمسة)، والتي تمثلها بنية واحدة وهي؛ (يَفْعَلُونَ).

إذن؛ " فالنحو العربي قد وُضع على أسس ابستمولوجية\* مغايرة لأسس اللسانيات البنوية وخصوصا في المبادئ العقلية التي بُنيت عليها تحليلاتها".<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 213.

\* هو مصطلح استخدم لأول مرة من قبل الفيلسوف الاسكتلندي جيمس فريدريك، لوصف فرع من فروع الفلسفة المعنية بنطاق المعرفة، وتفسيرها وكيفية الحصول عليها، حيث تهدف هذه النظرية إلى الإجابة عن الأسئلة التي تطرح حول كيفية فهم السبب أو المبرر.

وهكذا فإنَّ النزعة الساذجة- على حد تعبير الحاج صالح- القائمة على التقطيع، لا يمكنها أبداً أن تحلل بكيفية مُرضية وعلمية الوحدات اللغوية العربية.

" إذ ليست كل اللغات بُنيت دوالها على انضمام قطعة إلى أخرى، فهناك من الوحدات الدالة ما ليس من قبيل القطع إطلاقاً".<sup>1</sup>

فمثلاً إذا حاولنا تطبيق التحليل التقطيعي على كلمة (أسباب) فإننا نتعسف عندما نحاول البحث عن قطعة فيها دالة على الجمع. وكذلك الشيء نفسه في كلمة (تمر).

فلا يمكن تطبيق مبدأ التقطيع على كل اللغات، فنجد في اللغة العربية معظم وحداتها مستقلة لا تحتاج إلى التركيب لتظهر دلالتها.

وهذه قضية التفت إليها الحاج صالح، ودعا كل دارسي اللغة إلى مراعاة خصوصية كل لغة، فليست كل اللغات مرنة تُطوع قواعد النظريات الغربية الحديثة.

### 1-1-2 المعيارية والوصفية:

امتازت النزعة البنوية بالعلمية والموضوعية، إثر تبنيها للمنهج الوصفي خاصة في دراسة اللغة، واعتبرته أهم إنجازاتها، فاهتم هذا المنهج بوصف وتحديد وحدات اللغة، وكيفية تقابل بعضها إزاء بعض.

فالبنوية تعتبر هذا المذهب في دراسة اللغة، المذهب الوحيد الذي يستحق أن يُوصف بالعلمية، وتغلو في ذلك أيما غلو، في حين أنَّ هذه النزعة الوصفية المغالية تُعارض نزعتين:

- النزعة إلى الحكم على العبارات بأنها صواب أو خطأ، لأنها موافقة لمعيار اجتماعي ما.
- والنزعة التي تحاول تعليل الظواهر اللغوية.<sup>2</sup>

لا يمكن إنكار ما جاءت به البنوية فيما يخص دراسة اللغة، وخاصة المنهج الوصفي الذي أضفى صفة العلمية والموضوعية للنزعة البنوية، إلا أنَّ هذه الدراسة تبقى قاصرة

<sup>1</sup>- المرجع السابق، ص213.

<sup>2</sup>- يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص26.

ومجرفة في حق اللغة؛ إذ تهتم بجانب منها وتُغفل جانباً آخر لا يقل أهمية عما تدرسه وهو الجانب المعياري، أي القواعد التي تنتظم وفقها التراكيب اللغوية والتي تتيح لنا الحكم بصوابها أو خطئها، ومحاولة تعليلها انطلاقاً من معايير اجتماعية متواضع عليها.

كما يقول **الحاج صالح**: "كيف يمكن أن نكتفي بالوصف لجانب واحد من اللغة، وهو وحداتها وكيفية تقابلها بعضها إزاء بعض كما يفعله الوصفيون، ونترك كيفية صياغتها التي تضبطها الضوابط، ولماذا نهدر الوصف للضوابط التي تجعل بعض العبارات صحيحة وعبارات أخرى لا تُحصى غير صحيحة".<sup>1</sup>

وهكذا تكون المعيارية الساق التي لا بد أن تقوم عليها البنوية بالإضافة إلى الوصفية لدراسة اللغة، والإلمام بمختلف جوانبها، وعدم الوقوف عند تصنيف وتحديد وحداتها، وإنما البحث في نظامها وكيفية صياغتها والحكم بصوابها أو خطئها، ومحاولة تصويبها انطلاقاً من مجموع الضوابط المتفق عليها.

وفي التفريق بين المنهج المعياري والوصفي، يقول **تمام حسان**: " وإذا كانت إجابة (كيف؟) ووصفاً، وإجابة (لماذا؟) غرضاً وهدفاً؛ رأينا بين هاتين الأداتين مالفارق بين الوصف والمعيار، وإذا كان الوصف في إجابة الأداة الأولى واضحاً في شرح الكيفية، فإنَّ المعيار في إجابة الأداة الثانية واضح في جعل الهدف أو الإرادة أو الغرض؛ هو المقياس الذي يجب أن تخضع له الحوادث".<sup>2</sup>

إذن؛ فالمنهج الوصفي يسعى للإجابة عن السؤال كيف؟، أي كيف تنتظم الوحدات اللغوية في نظام ما، وكيف تتقابل إزاء بعضها البعض، في حين أنَّ المنهج المعياري، يُجيب عن السؤال لماذا؟ فهو يبحث عن التفسير والتعليل للظواهر اللغوية، وهذا التفسير يكون وفقاً لضوابط وقواعد متعارف عليها.

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص 27، 28.

<sup>2</sup> - تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2001م، ص 52.

### 1-1-3 الوضع والاستعمال:

تتكون اللغة من مجموعة متجانسة، مترابطة من الدوال والمدلولات، التي تنتظم متكافئة في شكل فئات تحمل صفات مشتركة تميزها عن غيرها، تُستثمر في واقع الخطاب في موقف من المواقف، لتحقيق غرض تواصلية.

إذا كان الوصف العلمي للنظام القواعدي الذي يتجسد به الكلام أو الخطاب هو "الوضع" فإنَّ "الاستعمال" يُمثل المستوى الآخر؛ وهو الكيفية العفوية التي يُجري بها الناطقون الأصليون لهذا النظام في واقع الخطاب.

يقول **الحاج صالح**: "إنَّ اللغة وضع واستعمال، أي نظام من الأدلَّة المتواضع عليها واستخدام لهذا النظام، وليست نظاما فقط ينظر فيه الباحث دون أن يُفكر في كيفية استخدام المتكلم له، كوسيلة تبليغ أولاً، وكوسيلة اندماج في واقع الحياة ثانياً".<sup>1</sup>

ويُضيف إنَّ اللغة وضع واستعمال؛ أي نظام من الأدلة الموضوعية لغرض التبليغ وفي الوقت نفسه استعمال واستثمار فعلي لهذا النظام في واقع الخطاب، وهذا شيء قد لاحظته علماءنا القدامى وتناساه مع الأسف المتأخرون منهم إلى وقتنا الحاضر، كما تناهوا أن هذا الاستعمال هو مشافهة قبل أن يكون كتابة وتحريراً، فالمنطوق، والمسموع هو الأصل في استعمال اللغة، والمكتوب فرع عليه.<sup>2</sup>

فلا يمكن الاكتفاء بجانب واحد في دراسة اللغة وإهمال الجانب الآخر، فاللغة استعمال وممارسة وتركيب لتلك الوحدات اللغوية، لأنَّ غرض اللغة هو التبليغ والتواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وليست مجرد وحدات قابلة للتصنيف والتحديد لا غير، حيث تمثل هذه النقطة مأخذاً على البنوية، إذ اكتفت في دراسة اللغة بوجه واحد فقط هو؛ (الوضع) دون الآخر المتمثل في؛ (الاستعمال).

<sup>1</sup> - الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص90.

<sup>2</sup> - يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص81.

### 1-1-4 البنوية في غنى عن التبليغ:

تُعد اللغة وسيلة للتواصل والتبليغ، حيث يستطيع المتكلم التعبير عن حالته في موقف ما ويوصل رسالته إلى السامع، فالمتكلم عندما يستعمل اللغة يكون تحت تأثير قوة ما، تظهر من خلال انتقائه لعناصر اللغة وتراكيبها.

وإذا كانت النزعة البنوية تهتم بمظهر اللغة القراري المتمثل في الكلام بعد أن يُحدثه المتكلم، فهي غير كافية لتفسير وتعليل ظاهرة التبليغ اللغوي، فلا يمكنها الكشف عن الدينامية الباطنية للغة، أي كيفية حصولها من القوة والفعل، وطريقة استعمال المتخاطبين لها أثناء إرسال الخطاب واستقباله.<sup>1</sup>

حيث يقول دي سوسير: " وليست اللغة وظيفة من وظائف المتكلم، بل هي نتاج يتقبله ويسجله دون أن يقوم بأي نشاط سوى نشاط التركيب".<sup>2</sup>

التبليغ، من أهم مظاهر اللغة، وأسمى أهدافها، لأنَّ الهدف الأول من الخطاب هو نقل الرسالة إلى المخاطب، وتكون هذه الرسالة مشحونة بانفعالات وردّات فعل المتكلم، حيث يستطيع السامع تعليل وتفسير حالة المخاطب من خلال تراكيبه في مدرج الخطاب.

ويضيف الحاج صالح في هذا السياق؛ أنّ مفاهيم سوسير جدّ ضرورية لتشخيص الوحدات اللغوية وتحديدها، وبيان كيفية اندراجها في نظامها، إلا أنّه لا يمكن أن يتعدّى بها الباحث هذه المرحلة من البحث، فهي تكتفي بمجرد الوصف والتصنيف، وتحديد الذوات اللغوية داخل نظامها، أقرب منها إلى تعليل تراكيبها في مدرج الخطاب وتفسير تفرعها بعضها من بعض، حتى يمكن أن يُعبر عن اللامتناهي من المعاني بالمتناهي من الألفاظ.<sup>3</sup>

لا ينكر الحاج صالح في هذا السياق ما جاء به سوسير من مفاهيم ضرورية وهامة في تحليل الوحدات اللغوية وتحديدها وتصنيفها بشكل اندراجي في نظامها.

<sup>1</sup>- يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص166.

<sup>2</sup>- فيردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، دط، الدار العربية للكتاب، دت، ص34.

<sup>3</sup>- يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص167.

في حين يُشير في المقابل إلى قصور هذه النظرية ووقوفها عند حدود الوصف، وإهمال التعليل والتفسير لمختلف تراكيبها، وكيفية تولد الدلالات انطلاقاً من تراكيب محدودة، وهنا نلمس بصمة لفكر تشومسكي التوليدي التحويلي، الذي يُتيح للمتكلم إنتاج عدد لا متناه من المعاني انطلاقاً من جملة واحدة.

واللسان كما حدده مارتيني؛ هو أداة تبليغ، ويندرج في هذه العبارة عنصران مهمان: الأول هو مفهوم الأداء، أو الوظيفة. والثاني: هو التخاطب أو التبليغ المتبادل بين أفراد الجماعة وهذان العنصران تشترك فيهما اللغة وغيرها من الظواهر الأدائية التبليغية، حيث يقتضي مفهوم الأداء وجود جهاز خاص يُستعمل لتحقيق غاية معينة، وهي التبليغ<sup>1</sup>.

يريد مارتيني بهذا الطرح أنّ الإنسان يستعمل اللغة كمرآة عاكسة لواقعه الذي يعيشه فهو من خلالها يسعى إلى التعبير عن مشاعره ومكنوناته، مستثمراً في ذلك ما يملكه من وحدات لغوية تساعده على تأدية غرضي التوصيل والتبليغ، فهذه الوحدات تعكس تصورات الإنسان لهذه المفاهيم و المحسوسات التي تحيط به في البيئة التي يعيش فيها.

### 1-1-5 في الاندراج والتفرع:

إنّ الهدف من البحث لدى أصحاب النزعة البنوية هو محاولة الكشف عن الوحدات اللغوية، وتحديد خصائصها وصفاتها الذاتية، من أجل تصنيفها في شكل اندراجي، من الجنس الأعلى أو العام إلى ما هو متضمن فيه، أو مندرج تحته، وهو عندهم يمثل بنية. ويقول الحاج صالح في هذا السياق، أنّ غاية البحث عند البنويين هو اكتشاف الوحدات التي تتكون منها اللغة، وذلك بتحديد هويتها التي ليست عندهم إلا صفاتها الذاتية، ثم تصنيفها وهذا التصنيف بُني على التمايز المتدرج من الجنس الأعلى إلى ما تحته وهو عندهم بنية<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- يُنظر: المرجع السابق، ص 41، 42.

<sup>2</sup>- يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص 41.

" حمل شيء على شيء؛" عبارة جاء بها الحاج صالح من صميم التراث اللغوي العربي ليثبت قصور ما جاءت به البنوية الغربية الحديثة من "اندراج شيء في شيء"، أو ما سماه بالقسمة الأفلاطونية، حيث يقول: "إنَّ التحليل البنوي هو من قبيل القسمة الأفلاطونية، وأهم صفة تتصف بها هذه القسمة هي اندراج شيء في شيء، بينما التحليل العربي هو من قبيل القسمة التركيبية، وهو إجراء شيء على شيء، بتحقيق التناظر، والقياس النحوي العربي جوهره هذا الإجراء التنظيري، ولا تناظر في القسمة الأفلاطونية ولذلك فالقياس العربي أرقى بكثير لأنه يُكوّن دائماً ما يُسمّى في الرياضيات زمرة<sup>1</sup>".

ويزيد على ذلك أنّ إجراء شيء على شيء، هو عين التحويل، وهو مفهوم لم تعرفه البنوية، في حين أنّه يُمثّل الأساس في كل شيء، عند النحاة العرب الأوّلين، وهذا التحويل يُشترط فيه التكافؤ، أي بين المُحوّل والمحوّل إليه، فهو تكافؤ غير اندراجي، وهو ما يُتحصّل عليه بالقياس، أما الاندراج فلا يُحصل به هذا التكافؤ.<sup>2</sup>

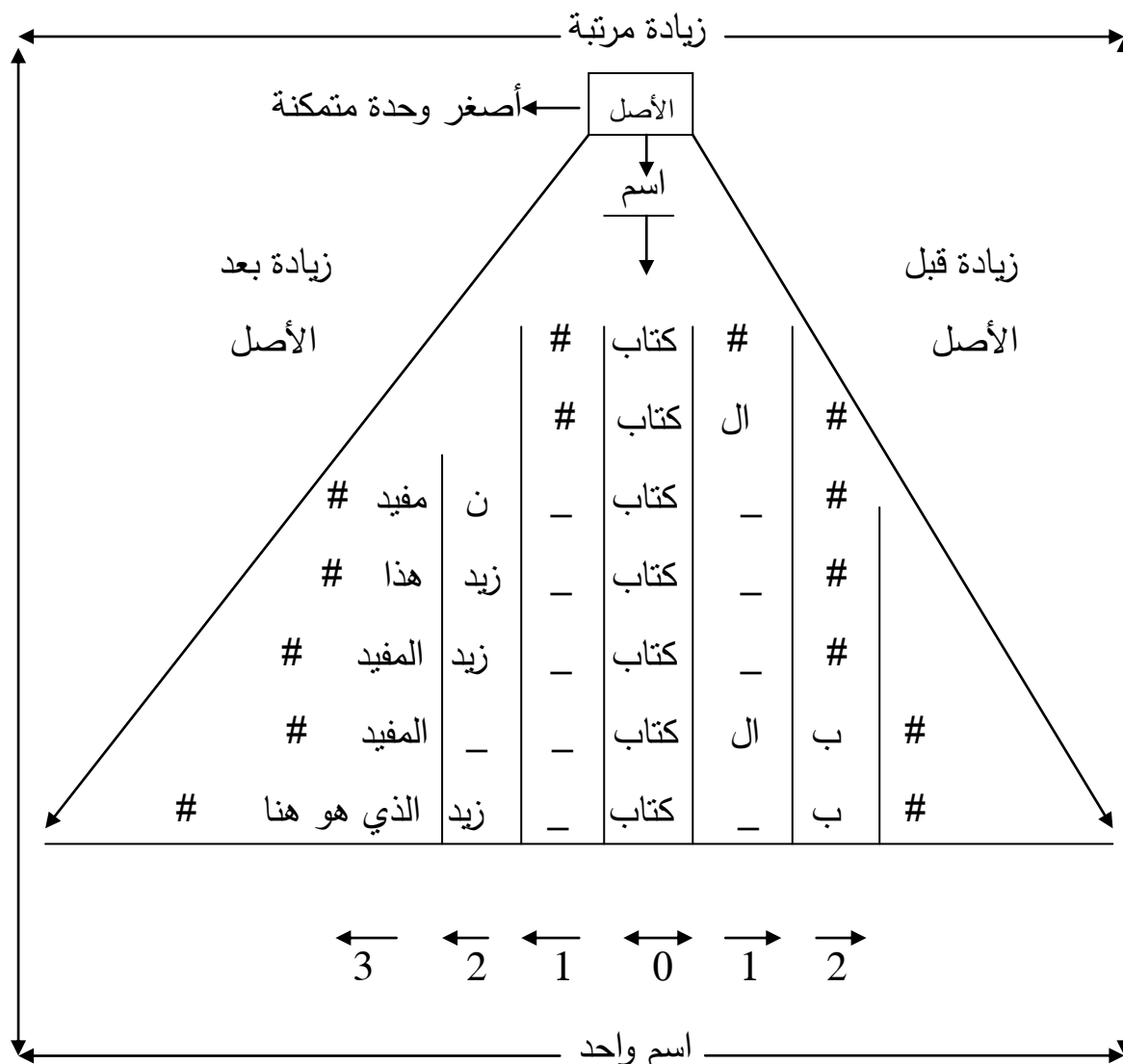
ومن هنا يمكن القول؛ أنّ القياس أو حمل الشيء على الشيء لوجود تكافؤ بينهما هو من صميم التحويل، ويمتاز بكونه تفرّيعياً من الأصل إلى الفروع، حيث يمثّل الأصل أبسط العبارات المنطلق منها، بينما نجد أنّ منهج البنوية، يمتاز بكونه اندراجياً، ينتمي فيه الشيء إلى الشيء بدون ترتيب أو تكافؤ فيما بينهما. يُنظر الشكل. (1) و(2).

<sup>1</sup> - المرجع السابق، ص42.

<sup>2</sup> - يُنظر: المرجع نفسه، ص43.

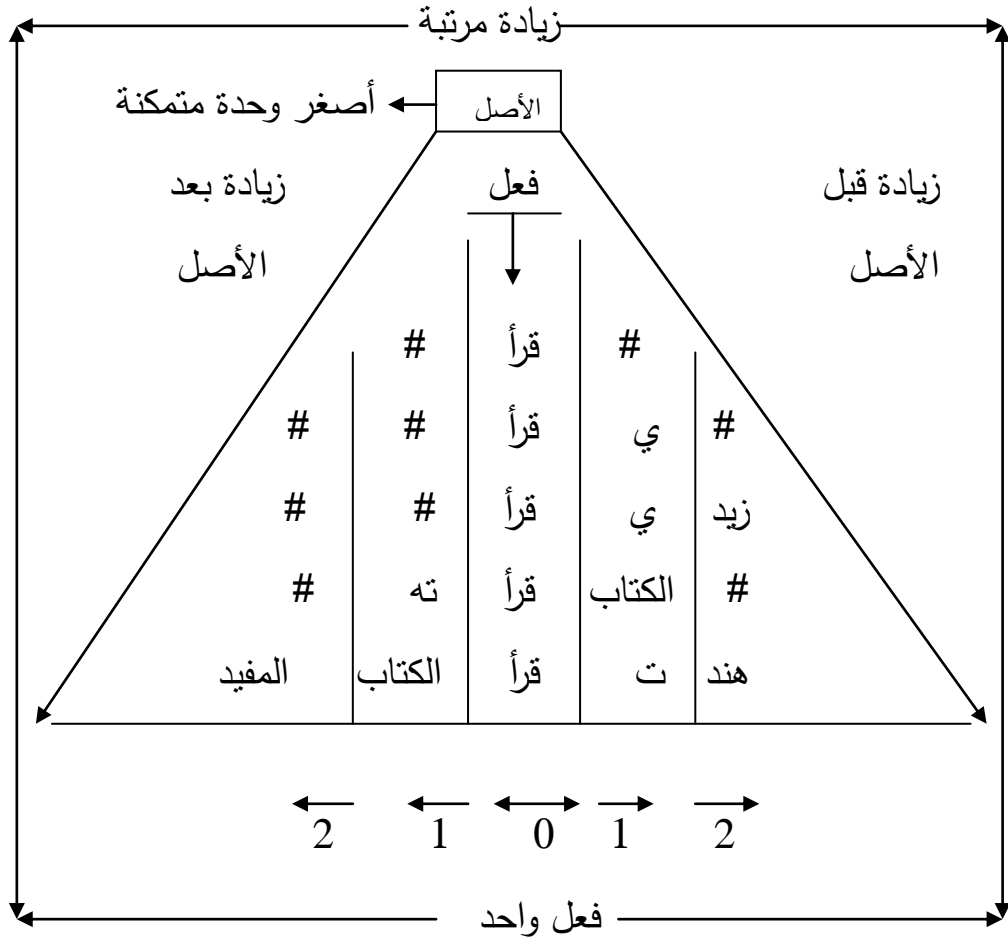
\* الزمرة مصطلح رياضي، استعمله الحاج صالح أيضاً في النظرية الخليلية؛ فمجموع العمليات التفرّيعية التي تضاف للمفردة تكون مجموعة بالمعنى الرياضي، فزمرة الاسم مثلاً هي تلك الزوائد التي تلحقه يمينا ويسارا.

الشكل (1):



إذن فالأصل هو ما يبني عليه ولا يبني على غيره، وهو وحدة متمكنة تقبل الزيادة يمينا ويسارا دون أن يحدث فيه تغيير، ونجده يظهر في كل فروعه.

الشكل (2):



نلاحظ من هذه الأمثلة، أنّ كل الوحدات المحمولة بعضها على بعض؛ هي نظائر للنواة (الأصل) وهي متفرعة عليها بالزيادة، وهذا التفرع يحكمه مبدأ التكافؤ، ووجود علاقة بين العناصر المحمولة على بعضها البعض أو المحولة عن الأصل، وهذا من صميم التحويل العربي الذي يمتاز بخاصية التفرع المرتبطة بالتكافؤ بين هذه الوحدات.

## 1-2 الوظيفة:

### 1-2-1 وظيفة اللغة:

إنَّ المتعارف عليه لدى جميع مستخدمي اللغة، هو أن اللغة وسيلة اتصال يستخدمها أفراد المجتمع لغرض التبليغ والتواصل، أي أنَّ الوظيفة الأساس للغة تتمثل في "التبليغ". في حين يرى الحاج صالح أنَّ حصر وظيفة اللغة في التبليغ فقط إجحاف، فصحيح إنَّ من وظائف اللغة التبليغ، ولكن إضافة إلى ذلك فهي تصلح لأشياء كثيرة، وذلك كالتحليل للواقع\*، التأثير على المخاطب وحمله على فعل معين، وما يحدث من كلام النفس وغير ذلك كثير.<sup>1</sup>

"وغير ذلك كثير...". هنا إشارة من الحاج صالح إلى أنَّ اللغة لا تقتصر على وظيفة، أو وظائف محددة، وإنما وظائفها تتحدد من خلال استعمالها، أي كيفية استعمالها، وهي تخدم المخاطب في المواقف للتعبير عن حاجاته.

### 1-2-2 الوظيفة التمييزية:

تعتمد الوظيفية في تحديد عناصر اللغة ووحداتها على الوظيفة، حيث تتمثل هذه الوظيفية حسب رأي أصحابها في التبليغ والتمييز، فلكل عنصر دور ووظيفة في المعنى. "الوظيفية تحدد اللغة وأبنيتها كما هو معروف بوظيفتها ليس إلا، وهذه الوظيفة هي عندها التبليغ والبيان، فكل عنصر أو صفة لعنصر يساهم في تأدية هذه الوظيفة فيجب أن يدخل في اعتبار الباحث اللغوي، وما لا دور له في ذلك فليس من ميدان البحث اللغوي لأنه لا دخل له في عملية التبليغ وإن كان له دور آخر مهم".<sup>2</sup>

إذا كانت اللغة مرنة، تتمايز فيها المعاني بتمايز الألفاظ وهو شيء طبيعي في كل اللغات، فلولا تباين الألفاظ لما تباينت المعاني، إلا أنَّ التباين لا ينحصر في هذا الشكل فقط، أي بتباين عناصرها في ذاتها: "فهناك علامات وأدلة في اللغة يمكن أن يرتفع بها

<sup>1</sup>- يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص32.

<sup>2</sup>- المرجع السابق، ص31.

اللبس إذا اتحدت الألفاظ، وذلك كالسياق عامة، وكعلامات الإعراب وكاختصاص الاسم بدخول حروف الجر عليه والوصف والإضافة وغيرها، ولذلك لا يجد المخاطب صعوبة في فهم كثير من المشترك والمترادف، فكيف يمكن أن تحصر اللغة في وظيفتها البيانية وأن تحصر هذه الأخيرة في تمييز الوحدات الصوتية وحدها بين المعاني؟<sup>1</sup>.

ويشير الحاج صالح إلى أن اهتمام الوظيفيين بالوظيفة التمييزية لذوات الألفاظ وحده، فيه مبالغة فجعلوا بنية اللغة كلها متوقفة عليها ومتولدة عنها.

### 1-2-2 الاقتصاد اللغوي:

هو أحد المبادئ المهمة التي جاء بها مارتيني، ويُقصد به الاكتفاء بعدد قليل ومحدود من العناصر اللغوية (الحروف)، وتكون هذه العناصر المحدود قابلة لتأدية أغراض التعبير. "فكيف يمكن أن يكتفي بعدد قليل من الحروف ولا تلتبس هذه الحروف بعضها ببعض وقد أجاب الوظيفيون كل واحد (وعلمائنا عن ذلك منذ القديم)، بأنّ المخارج وهي أقل عددا من الحروف، قد يخرج في كل واحد منها أكثر من حرف، ويتميز كل واحد منها بصفات أخرى غير المخرج وهذا هو معنى الاقتصاد أي الاكتفاء بالقليل من العمليات المحدثة للحروف مع إمكانية تغطية كل حاجات التعبير".<sup>2</sup>.

يقصد مارتيني بمصطلح "الاقتصاد اللغوي"؛ تقليص كل تمييز غير مفيد، وإظهار تميزات جديدة، والإبقاء على الوضع الراهن، مضيفاً أن الإنسان يعيش في صراع قائم بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي، فالعالم الخارجي في تطور مستمر، ويتطلب ابتكار مفردات جديدة، والطبيعة الإنسانية ميّالة إلى الخمول والجمود، واستعمال عدد قليل من المفردات الموجودة حوله، والنزوع إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية التلفظ أو التذكر.<sup>3</sup>.

لا يمكن إنكار ما جاء به مارتيني، وخاصة مبدأ الاقتصاد اللغوي والذي أبرز فيه، ما تُنتجه تلك الحروف المحدودة للمتكلم من إنتاج لمعاني عديدة وتوفير للجهد، إلا أنه "يحصّر

<sup>1</sup> - المرجع، نفسه، ص32.

<sup>2</sup> - المرجع نفسه، ص257.

<sup>3</sup> - يُنظر: أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص155.

نظام اللغة كله كسائر الوظيفيين في المحور الاستبدالي وحده لأنَّ المحور التركيبي هو مجرد تسلسل الكلام المحسوس عنده وإن كان ضروريا لمعرفة التباين الأفقي، فهو ثانوي عنده، إذ جوهر النظام التمايزي ينتج من استبدال عنصر بعنصر آخر مقابل له، وهذا أكبر غلط ارتكبه الوظيفيون".<sup>1</sup>

فمن الإجحاف أن يصب الدارس جُل اهتمامه لجانب من جوانب اللغة دون جوانب أخرى مهمة، فاللغة نظام متكامل، وهناك علاقة وطيدة بين محوريها الاستبدالي والتركيبي، فما يحدث من تغيير على مستوى أحد المحورين يظهر ويتبعه تغيير في المحور الآخر.

### 1-3-1 التوليدية التحويلية:

#### 1-3-1-1 جديد تشومسكي في البنوية:

لقد شكت فكرة تشومسكي والمتمثلة في " توليد عدد غير متناه من الجمل انطلاقا من عدد متناه من القواعد"؛ إضافة جديدة إلى الدرس اللساني عامة، والمنهج البنوي خاصة. وقد أشاد الحاج صالح بأهمية ما قدمه العالم الأمريكي تشومسكي من إضافة في منهج دراسة اللغة، وإبرازه لنقائص البنوية، ويضيف الحاج صالح: " إنَّ هذه النظريات التي أُطلق عليها اسم البنوية، لاهتمامها بالبنى الغوية في زعم أصحابها كانت قد تناست أو تجاهلت جانبا هاما من الدراسة، وهو الظواهر المتعلقة بالقدرة التي مُنحت للإنسان على الكلام للدلالة على أي غرض كان، وبالتالي على كيفية إحدائه له وكيفية تحقيقه للعبارات المختلفة اللامتناهية بالمتناهي من الوحدات".<sup>2</sup>

إن؛ فالجديد الذي أضافه تشومسكي كما يرى الحاج صالح، هو الاهتمام بدراسة الظواهر المتعلقة بالقدرة، أو الملكة التي يولد الإنسان مزودا بها، تسمح له بإنتاج مختلف العبارات أثناء الخطاب، وتأدية غرض التواصل، وهو الجانب الذي أغفلته أو تجاهلته النزعة البنوية.

<sup>1</sup> - الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص255.

<sup>2</sup> - الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، ص175.

تُعد نظرية تشومسكي التوليدية التحويلية كباقي النظريات الحديثة، التي لا تخلو من النقائص، فقد ركّز التوليديون على الجملة مستنبطين العلاقات النحوية التي تحكم وحداتها ضمن التركيب، مُعرضين نسبياً عن الوحدات الصغرى التي تشكلها، مُعرضين للدلالة اللغوية في المراحل المتأخرة، بيد أنّ المعنى الكلامي بقي مبعداً من الأبحاث التوليدية المختلفة وهذا ما أثار سلباً على وضوح نتائجهم وشمولية تفسيرهم للجملة.<sup>1</sup>

لقد انصبّ جل اهتمام التوليديين، على الوحدات اللغوية متجاوزة في نظام أي ضم التركيب، في حين أهملوا الوحدات الصغرى التي تشكل منها هذا التركيب، إضافة إلى إهمالهم المعنى المتجسد أثناء الكلام، فدراساتهم تكتفي بذلك الشكل الذي تنتظم وفقه الوحدات اللغوية.

### 1-3-2 القياس عين التحويل:

إذا كان حمل شيء على شيء من صميم القياس العربي، أي حمل الفروع على الأصول ويمثل الأصل؛ ما يُبنى عليه أو يُحمل عليه ولا يُبنى على غيره، فهو يمتاز بالثبات وما تفرعت عليه الفروع؛ وهذا التفرع هو عملية تحويلية.

ويشير الحاج صالح إلى ذلك في قوله إنّ مفهوم التحويل شيء لا تعرفه البنية، بينما وُفق تشومسكي في إحيائه، وإدخاله في النظرية اللغوية، غير أنه لم يجعله الأساس في كل شيء-كما هو عند العرب- وذلك لأنّ إجراء الشيء على الشيء هو جوهر التحويل، بما أنّ المحوّل والمحوّل إليه متكافئان، فالتحويل تكافؤ غير اندراجي، وهو هذا الذي يُحصل عليه بالقياس<sup>2</sup>.

فمفهوم التحويل أو التفرع؛ الذي تجاوزه النزعة البنوية أو تجاهلته، قد التقت إليه تشومسكي ولكن بشكل من التقصير، بينما جعله العرب (أي التحويل) أساساً في كل شيء

<sup>1</sup>- يُنظر: أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط3، دمشق، دار الفكر، 2003م، ص9.

<sup>2</sup>- يُنظر: الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، ص43.

إذ إنّ التحويل من صميم إجراء الشيء على الشيء لوجود تكافؤ أو جامع بينهما، وهو ما نقصد به "القياس".

فعلى الرغم مما أحدثه تشومسكي من صدى على الدرس اللساني، وما قدمه من إضافة إليه، لتُطبَّق نظرياته في عدة مجالات منها: حقل تعليمية اللغات وإنتاج الكلام والقياس والحاسوب، إلا أنّ تحليله كان ينقصه وصف شمولي للغة الطبيعية، فإخضاع التركيب لقواعد تشومسكي يحكم على موافقة الجملة للنظام فقط، أما الوظيفة التي يُؤديها التركيب والسياق الذي قيل فيه، فهما مغيبان تماما.<sup>1</sup>

رغم النقائص التي سُجلت على ما قدمه تشومسكي من أفكار، إلا أنّ هذا لا يُنقص من قيمة ما جاء به، ومدى خدمته لدراسة اللغة، فنجد الحاج صالح يشيد بفكر هذا العالم، وما أضافه على البنوية قائلاً: "أمّا فيما يخص نظرية تشومسكي فلا بد أن نعترف لهذا الرجل العبقرى بالفضل الكبير على اللسانيات، كما لا بد أن نلفت نظر الإخوان اللسانيين إلى أنه قد عرف الشيء الكثير عن النظريات والتصورات اللغوية العربية".<sup>2</sup>

إنّ ما قدمه عبد الرحمن الحاج صالح من انتقادات وإضافات على الأفكار التي جاءت بها النظريات الغربية الحديثة، كان من باب لفت الانتباه إلى خصوصية اللغة العربية، والدعوة إلى استثمار التراث اللغوي العربي والعودة إليه والتأصيل له، فليس كل جديد مقبول قادر على احتواء جل اللغات.

2- يُنظر: إبراهيم بشار، مبادئ اللسانيات النظامية بين شروط التأسيس العلمي ومقتضيات التواصل اللغوي، ندوة المخبر، أم البواقي، ص10.

2- الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، ص215.

\* فالإنسان يحلل الواقع الذي يعيشه من خلال استعماله للغة.

خاتمة

## خاتمة

تهدف كل دراسة أو بحث إلى رفع اللبس والغموض، عن قضية من القضايا، وقد حاولنا في بحثنا هذا تتبع بعض القضايا، التي أعيد النظر فيها، ونالت قسطاً وافراً من اهتمام اللساني الجزائري "عبد الرحمن الحاج صالح"، لنخرج بمجموعة من النتائج مفادها:

- لقد اهتم عبد الرحمن الحاج صالح، بأهم النظريات اللسانية الغربية الحديثة؛ كالبنوية والتي حضت بالقسط الأوفر من اهتمامه، والوظيفية، إضافة إلى التوليدية التحويلية.
- وقد تمثل اهتمام الحاج صالح بهذه النظريات، في إعادة النظر فيها والوقوف على الجديد الذي أضافته للدرس اللساني، مع تسجيل الهفوات والعترات التي وقعت فيها.
- يرى الحاج صالح أنّ التراث اللغوي العربي، لا يقل أهمية عما جاء به الدرس اللساني الحديث، وأنّه من الضروري أن يعود إليه الباحث اللساني العربي، وهذا من باب التأسيس.
- ونجده يلفت النظر إلى خصوصية اللغة العربية، وضرورة مراعاتها، وعدّ إخضاعها لما جاءت به النظريات الغربية الحديثة إجحافاً في حقها، فقد لا تكون مرنة لدرجة استيعاب القواعد المصاغة للغات أخرى بعينها.
- ومن أهم الهفوات التي سُجلت على البنوية، في بنية اللغة تحديداً، كونها تعتمد التصنيف والتحديد الأرسطي، الذي يقوم على الجنس والفصل فقط، في حين تجاوز النحاة العرب ذلك فكانوا يحملون الشيء على الشيء لوجود مناسبة بينهما.
- وقد خاض في قضايا أخرى، كالمعيارية والوصفية، فكانت نظرتها قاصرة وخاصة إهمالها للمعيارية، والتي تمثل الشق الثاني لدراسة اللغة.
- إنّ اللغة وضع واستعمال، أي مجموعة من الأدلة الموضوعية لغرض التبليغ، وفي الوقت نفسه هي استعمال واستثمار فعلي لهذه الأدلة.
- إنّ إهمال البنوية لظاهرة التبليغ، يجعلها قاصرة في تحليل وتفسير الدينامية الباطنية للغة أي كيفية حصولها من القوة والفعل، فالتبليغ يمثل أهم مظاهر اللغة وأسمى أهدافها.
- أما فيما يخص النظرية التوليدية التحويلية، فنجد الحاج صالح يشيد بما قدمه العالم الأمريكي تشومسكي من جديد لدراسة اللغة، والمتمثل في الاهتمام بدراسة الظواهر المتعلقة بالقدرة أو الملكة، التي تسمح للإنسان بإنتاج عدد لا متناه من العبارات انطلاقاً من المتناهي من الوحدات، وهو ما أغفلته البنوية.
- ويعد مبدأ التحويل أهم ما قامت عليه هذه النزعة، وأشار إلى التقاء التحويل التشومسكي والقياس العربي.
- وكذلك فقد وقف عند بعض المحطات، والمتمثلة في وظيفة اللغة، وقد حصرت هذه النزعة وظيفة اللغة في "التبليغ" فقط في حين أن اللغة وظائف أخرى لا تقف عند هذا الغرض.
- وقد اعتمدت في تحديد عناصر اللغة على الوظيفة، فلكل عنصر وظيفة تمييزية ودور تؤوليه في المعنى، في حين أنّ هذه الوظيفة التمييزية لا تنحصر في هذا الشكل، فهناك علامات وأدلة في اللغة يمكن أن ترفع اللبس إذا اتحدت الألفاظ.
- الاقتصاد اللغوي، ويمثل أهم المبادئ التي جاء بها مارتيني، ويقصد به الاكتفاء بعدد قليل ومحدود من العناصر (الحروف)، وتأدية مختلف أغراض التعبير، وكان الهدف من وضع هذا المبدأ، هو توفير الجهد.

- أما الوظيفيون، فقد حصروا نظام اللغة كله في المحور الاستبدالي وحده، وهذه نظرة قاصرة، فاللغة نظام متكامل، وهناك علاقة وطيدة بين محوريها الاستبدالي والتركيبى.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (رواية ورش).

## المصادر والمراجع:

- 1) إبراهيم بشار، مبادئ اللسانيات النظامية بين شروط التأسيس العلمي ومقتضيات التواصل اللغوي، ندوة المخبر، أم البواقي.
- 2) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط1، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003 م.
- 3) أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، 2003 م.
- 4) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط1، 1996م، دمشق، دار الفكر، 2008م.
- 5) أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، ط3، دمشق، دار الفكر، 2003م.
- 6) أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط2، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2005م.
- 7) تمام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ط1، القاهرة، عالم الكتب، 2001م.
- 8) السعيد شنوكة، مدخل إلى المدارس اللسانية، ط1، عنابة، الجزائر، المكتبة الأزهرية للتراث، 2008م.
- 9) شرف الدين الراجحي، مبادئ علم اللسانيات الحديث، ط1، دار المعرفة الجامعية، 2003م.
- 10) شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، بيروت، لبنان، أبحاث للنشر والتوزيع، 2004م.

- (11) الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيوية، دراسة تحليلية ابستمولوجية، جمعية الأدب للأستاذة الباحثين، دت.
- (12) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دط، موفم للنشر، الجزائر، 2007م.
- (13) عبد السلام المسدي، اللسانيات وأسسها المعرفية، ط1، المطبعة العربية، تونس، دت
- (14) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج1، دط، الجزائر، موفم للنشر، 2007م.
- (15) عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج2، دط، الجزائر، موفم للنشر، 2007م.
- (16) عبد الرحيم البار، مجلة إشكالات، المركز الجامعي، الجزائر، العدد السادس، 2014م.
- (17) عبد العزيز حليلي، اللسانيات العامة واللسانيات العربية، ط1، الدار البيضاء، المغرب، دراسات سال، 1991م.
- (18) عبد القادر عبد الجليل، علم اللسانيات الحديثة، ط1، عمان، الأردن، دار صفاء، 2002م.
- (19) علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، دت.
- (20) عمار ساسي، المصطلح في اللسان العربي من آلية الفهم إلى أداة الصناعة، ط1، إريد، الأردن، عالم الكتب الحديث، 2009م.
- (21) فاطمة الهاشمي بكوش، نشأة الدرس اللساني العربي الحديث، ط1، مصر، ايتراك للنشر، 2004م.
- (22) فيردينان دي سوسير، دروس في الألسنية العامة، ترجمة صالح القرمادي، دط، الدار العربية للكتاب، دت.

## المجلات والرسائل الجامعية:

(23) محمود عكاشة، علم اللغة مدخل في اللغة العربية، ط1، القاهرة، مصر، دار النشر للجامعات، 2006م.

(24) ميشال زكريا، علم اللغة الحديث، المبادئ والأعلام، ط1، بيروت، لبنان، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1983م.

(25) ميلكا إفييتش، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح، ط2، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.

(26) نسيمه نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2010م-2011م.

(27) نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة، دط، القاهرة، مكتبة الآداب، دت.

(28) هيام كريدية، أضواء على الألسنية، ط1، بيروت، لبنان، الجامعة اللبنانية، 2008م.

الفهرس

## فهرس الموضوعات:

## الصفحة

مقدمة.....	ج_أ_ب_ج
مدخل: نشأة اللسانيات.....	05
1- البحث اللساني عند الهنود.....	06
1-1- اللغة الهندية.....	06
1-2- النحو البانيني.....	07
2- البحث اللساني عند الإغريق.....	08
2-1- النحو عند الإغريق.....	08
2-2- نشأة اللغة بين الطبيعة والاصطلاح.....	09
3- البحث اللساني عند العرب.....	10
3-1- نشأة النحو العربي.....	10
3-2- مصطلح النحو عند العرب.....	11
4- مصطلح اللسانيات.....	12
4-1- في مصطلح اللسانيات.....	13
الفصل الأول: اللسانيات الغربية الحديثة.....	17
1- نشأة اللسانيات الغربية الحديثة.....	17
2- رائد اللسانيات الغربية الحديثة.....	18
2-1- حياته.....	19
2-2- مؤلفاته.....	20
3- أهم المدارس اللسانية الحديثة.....	21
3-1- المدرسة البنوية.....	21
3-2- المدرسة الشكلانية الروسية (موسكو).....	22
3-3- مدرسة براغ (حلقة براغ اللغوية).....	24
3-4- المدرسة الوظيفية.....	26
3-5- مدرسة كوبنهاغن (الغلوسيماتيك).....	28
3-6- المدرسة التوزيعية.....	30

32.....	3-7- المدرسة التوليدية التحويلية.....
36.....	4- اللسانيات الغربية والثقافة العربية.....
36.....	4-1- اللسانيات العربية.....
37.....	4-2- لمحة إلى اللسانيات العربية الحديثة.....
الفصل الثاني: اللسانيات الغربية الحديثة والفكر العربي من خلال كتابات عبد الرحمن	
58-40.....	الحاج صالح.....
40.....	1- أهم القضايا التي وقف عليها الحاج صالح.....
41.....	1-1- البنوية.....
42.....	1-1-1- في بنية اللغة.....
46.....	1-1-2- المعيارية والوصفية.....
48.....	1-1-3- الوضع والاستعمال.....
49.....	1-1-4- البنوية في غنى عن التبليغ.....
50.....	1-1-5- في الاندراج والتفرع.....
54.....	1-2- الوظيفية.....
54.....	1-2-1- وظيفة اللغة.....
54.....	1-2-2- الوظيفة التمييزية.....
55.....	1-2-3- الاقتصاد اللغوي.....
56.....	1-3- التوليدية التحويلية.....
56.....	1-3-1- جديد تشومسكي في البنوية.....
57.....	1-3-2- القياس عين التحويل.....
60.....	خاتمة.....
63.....	قائمة المصادر والمراجع.....
67.....	فهرس الموضوعات.....

## ملخص

حملت الدراسات اللسانية مطلع القرن العشرين طابع العلمية والموضوعية، في دراسة اللغة لتخرج بها من التاريخية إلى الوصفية.

وقد شكّل الاحتكاك العربي بنظيره الغربي، عاملا مهما في انتقال الفكر الغربي الجديد إلى الساحة العربية، واكتشاف الباحثين العرب ما حدث من تطور في ميدان البحث اللغوي، ليتزامن هذا الاحتكاك مع ازدهار مذهب لغوي بلغ أوجّه في تلك الفترة والمسمى "البنوية".

ولما كانت اللسانيات العربية الحديثة محاولة لنقل وترجمة ما جاءت به اللسانيات الغربية الحديثة من نظريات، كان لابد من إعادة قراءتها والنظر في محتواها، خاصة عندما طبقت على اللغة العربية، ويعد **عبد الرحمن الحاج صالح** من أبرز اللسانيين العرب الذين خاضوا في هذه القضية.

وجاء هذا البحث من أجل الوقوف على أهم النظريات والقضايا التي عالجها **الحاج صالح**، وأبرز أوجه القصور فيها، والمتمثلة في: البنوية، الوظيفية، والتوليدية التحويلية.

Résumé :

Dés le début du xx<sup>ème</sup> siècle, les études linguistiques ont pris un aspect scientifiques et objectif dans le but de sortir de l'historique et du descriptivisme.

Les contacts arabo auxidentaux constituaient de la nouvelle pensée occidentale, son transfert vers le monde arabe et la découverte du grand progrès dans le domaine de la recherche linguistique.

ces contacts coïncidaient avec l' évolution d'une théorie linguistique que atteignit son apogée : « le structuralisme ».

C'étant qu'une tentative de traduction de contenus de théories linguistiques occidentales, la linguistique arabe exigea une révision de ces contenus afin des les appliquer adéquatement sur la langue arabe.

**Abderrahmane El Hadj Salh** était l'un des premiers linguistes arabe qui ont évoqué cette question.

Cet esposé consiste à faire le point sur les lacunes des théories linguistique modernes notamment : le structuralisme, le fonctionnalisme, le générativisme, abordées par le linguiste, **El Hadj Salah**.